كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلمية

الدور السياسي والحضاري لأمراء الحج المصري في مكة في العصر المملوكي ٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م

إعداد

د/ حسن فرحان عبد الساتر عطية

المدرس بقسم التاريخ الإسلامي في كلية اللغة العربية بأسيوط

(العدد الرابع والثلاثون – الجزء الرابع ٢٠١٥م)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد ﷺ ، وعلي آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، ومن دعا بدعوته وتمسك بسنته إلي يوم الدين .

وبعد،،،

فلقد شرف الله سبحانه وتعالي مكة بالبيت الحرام وجعله قبلة للمسلمين ومهوي أفئدتهم ، وأحب البقاع لرب العالمين ورسوله الأمين (ﷺ) ، وعلي مر العصور كان الاهتمام بمكة من جميع النواحي أمراً محبباً لدي جميع المسلمين ، وكانت الدول التي تتنافس علي زعامة العالم الإسلامي لا يتحقق لها ذلك إلا من خلال السيطرة علي الحرمين الشريفين .

وقد كانت دولة المماليك من الدول الإسلامية التي فازت بشرف الإشراف علي مكة ومقدساتها ، فاهتمت بشؤونها السياسية ، ومن أجل تثبيت سلطانهم وتوسيع نفوذهم ، عمد سلاطين المماليك بين الفينة والفينة إلي عزل أشراف مكة وتعيين البديل لهم منهم ، أو إرسال الأموال والإنعام عليهم بالإقطاعات الواسعة للحصول علي ولائهم ، وكل هذا يتم عن طريق الممثل السياسي للدولة وهو أمير الحج المصري ، لذلك كانت العلاقة بين أشراف مكة وأمير الحج تتجاذب بين المد والجزر ، كما كان لأمير الحج دور في القضاء علي أي محاولة من قبل الدول الإسلامية الأخرى للسيطرة علي مكة .

ولما كانت مكة تعتمد اقتصادياً علي التجارة فقد اهتم أمراء الحج بتأمين الطرق للقوافل التجارية التي كانت تسلك نفس طريق الحج ، فاهتموا بإنشاء الآبار علي طول الطريق هذا بالإضافة إلي المؤسسات التجارية التي تخدم حركة التجارة

في مكة ، فضلاً عن جهودهم المستمرة في رفع المعاناة عن كاهل سكان مكة في أوقات الأزمات الاقتصادية .

وفي الحياة الاجتماعية قام أمراء الحج بدور مهم في رعاية سكان مكة علي اختلاف طبقاتهم ، وإنشاء العديد من المؤسسات التي تخدم المجتمع .

وقد كانت الناحية الدينية بمكة تفوق كل النواحي ، حيث أن كل ما يتم في مكة من جميع الوجوه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالناحية الدينية ، لذلك عمل أمراء الحج علي الاهتمام بعمارة المسجد الحرام والكعبة المشرفة وغيرهما من المقدسات ، كما اهتموا بالوظائف الدينية بمكة . وكان شعورهم الديني يلزمهم بالمسئولية تجاه ما ظهر بمكة من بدع ومنكرات فعملوا علي إزالتها .

ولما كان الحج موسم علمياً وثقافياً يتيح للمسلمين الالتقاء والتجمع في حلقات المسجد الحرام لتدريس وتلقي العلوم المختلفة ، فقد أسهم أمراء الحج المصري في ترسيخ عملية التلاقي الثقافي بإنشاء العديد من المؤسسات التعليمية وخصصوا لها الأوقاف التي تضمن استمرارها في أداء دورها .

فنجد أن أمراء الحج المصري كان لهم دور مهم بمكة في مختلف النواحي ومن أجل إيضاح هذا الدور جاءت هذه الدراسة بعنوان (الدور السياسي والحضاري لأمراء الحج المصري في مكة في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م) .

وقد قسمت هذا البحث إلي تمهيد ، وأربعة فصول ، وخاتمة.

ففي التمهيد : تحدثت عن إمارة الحج المصري في العصر المملوكي من حيث تعيين أمير الحج ، والمهام المكلف بها ، والمعاونون له في رحلة الحج، ومخصصات أمير الحج ، ومراسم الاحتفال بخروج ركب الحج .

وأما الفصل الأول : فهو عن " دور أمراء الحج المصري في الحياة

السياسية في مكة " فتحدثت عن أحوال مكة السياسية ، ودور أمراء الحج في الصراع بين الأشراف ، وعلاقتهم بالأشراف ، ثم ذكرت نفوذ أمراء الحج السياسي في مكة ، ودورهم في الدعاية السياسية والاغتيالات .

وفي الفصل الثاني : تحدثت عن " دور أمراء الحج المصري في الحياة الاقتصادية في مكة " فذكرت دورهم في النشاط التجاري من حيث الاهتمام بالطرق وإنشاء المؤسسات التجارية ، وإلغاء المكوس ، ثم تحدثت عن دورهم في الأزمات الاقتصادية .

وأما الفصل الثالث : فقد خصصته للحديث عن " دور أمراء الحج المصري في الحياة الاجتماعية في مكة " مثل الاهتمام بمختلف عناصر السكان من أشراف ومجاورين وفقراء ، ودورهم في إنشاء المؤسسات الاجتماعية والرعاية الصحية والمرافق العامة .

وفي الفصل الرابع : تناولت " دور أمراء الحج المصري في الحياة الدينية والعلمية " وذكرت فيه دورهم في الإصلاحات في المسجد الحرام والكعبة المشرفة والوظائف الدينية ، ودورهم في إزالة البدع والمنكرات ، ثم تحدثت عن دورهم في الحياة العلمية المتمثلة في إنشاء العديد من المؤسسات التعليمية.

وأخيرا جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة .

وقد اعتمدت في إعداد هذا البحث علي عدد من المصادر والمراجع العربية والمعربة أثبتها في نهاية البحث .

وبعد فإن الكمال لله وحده عز وجل ، وأسأله – سبحانه – أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل عملي خالصا لوجهه الكريم ، إنه سميع قريب مجيب الدعاء ،،،

تمهيد

إمارة الحج المصري في العصر المملوكي

إمارة الحج من أعظم المراتب السياسية التي تتميز بحسن التدبير ، ونبوغ التفكير ، ورجاحة العقل ، وسداد الرأي لأنها من أجل المراتب الدينية [١] ، فلم يكن منصب أمير الحج منصباً سهلاً ، ولا اختياره أمراً هيناً ، ولولا عظم هذه المهمة لما أوكلها النبي (ﷺ) إلى أبي بكر الصديق (ﷺ) أقرب الناس إليه ، وذلك في العام التاسع للهجرة ، فكان أول أمير للحج في الإسلام [٢] ، وفي العام العاشر للهجرة تولى النبي(ﷺ) أمر الحج ولم يولها أحد غيره ، ومنذ ذلك الحين أصبح تعيين أمر الحج سنة متبعة يقلدها ولي الأمر لمن يرى فيه الصلاح والدراية بكيفية رعاية مصالح المسلمين ، هذا إذا لم يخرج ولي الأمر بنفسه [٣] .

وقد كان أصحاب الأمر يبحثون عن المستحقين والأكفاء لولاية إمرة الحج لأنه منصب جليل ونبيل ، يجتمع تحت إمرته العلماء والفقهاء ، والأولياء والصلحاء ، والقوي والضعيف ، والرجال والنساء ؛ لذلك وجب اختيار من ثبت استقامة أحواله ، واختبر في دينه وأفعاله [٤] .

---

(١) الجزيري : درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ١ / ٢١٧ .

(٢) ابن هشام : السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ، ٤ / ٢٥٥.

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ، صـ١١ . بدوي محمد فهد : تاريخ أمراء الحاج ، مجلة المورد ، دار ، المجلد ٩ ، العدد ٤ ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، صـ١٨٠ .

(٤) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م ، ٢ / ٢٩٦ .

تعيين أمير الحج المصري في العصر المملوكي :

لم يعرف منصب أمير الحج المصري إلا في سنة ٥٩١هـ (١١٩٤م) ؛ أي في عصر صلاح الدين الأيوبي [١] ، حيث نودي في القاهرة بأن الشريف ابن ثعلب[٢] مقدّم على الحج ، وخيّم على سقاية ريدان بمنطقة العباسية اليوم ، فأخذ الناس يتجمعون هناك ، ثم خرج بهم إلي مكة لأداء فريضة الحج [٣] .

وكان بعض قادة العصر الأيوبي يتولون وظيفة إمارة الحج نيابة عن سلطان مصر ، في حين يتولى أمير الحج العراقي ، المرسل من قبل الخليفة العباسي ، الزعامة على جميع قوافل الحج الأخرى المرسلة من قبل الأيوبيين سواء من مصر أو الشام أو اليمين ، فلم يكن من حق أمراء هذه القوافل رفع راية غير راية الخليفة على جبل عرفات ، وهذا يدل على خضوع أمير الحج خضوعاً مباشراً للخليفة العباسي [٤] .

---

(١) هو: صلاح الدين أبو المظفر بن نجم الدين أيوب بن شاذي بن يعقوب الدويني التكريتي ، ولد سنة ٥٣٢هـ (١١٣٧م) ، قدم مع عمه أسد الدين شيركوه إلي مصر ، وقضى على الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) ، وملك البلاد وغزا الفرنج مرات عديدة ، وفتح كثيراً من المدن ، وهو مؤسس الدولة الأيوبية (٥٦٧-٦٤٨هـ/١١٧١-١٢٥٠م) ، توفي صلاح الدين بدمشق سنة ٥٩٢هـ (١١٩٥م) ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، ٧ / ١٣٩ -٢٠٦، زامباور : معجم أنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه د. زكي محمد حسن ، وآخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، صـ١٥٠ .

(٢) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مصادر.

(٣) أحمد فؤاد سيد : تاريخ مصر الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، صـ٢١٦ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد وآخرون ، = مؤسسة الرسالة بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، ١ / ١٨٩ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

وفي عصر سلاطين المماليك كان اختيار أمير الحج يتم من قبل السلطان ، ففي ليلة المولد النبوي [١] يقيم السلطان سماطا [٢] حافلاً وتقدم فيه المشروبات ، فيأخذ السلطان قدحاً من الشراب يشرب بعضه ويحتفظ بالباقي للأمير الذي يتم اختياره ليكون أميرا للحج ، فإذا ما أعطى الذي اختاره الكوب ، عرف أنه الأمير فيقوم بشكر السلطان ، ويسارع الحاضرون إلى تهنئته [٣] .

ونظراً لصعوبة هذه الرحلة – حيث بعد بلاد الحجاز عن مصر وانعدام الأمن ومقومات الحياة في الطريق ، فضلاً عن سخط السلطان وعقابه إذا فشل أمير الحج في مهمته – كان كثير من المكلفين بها يعتذرون عنها ، ونادراً ما يقبل السلطان عذرهم ، ففي سنة ٨٧٦هـ (١٤٧١م) أقيم المولد النبوي وعيّن السلطان قايتباي المحمودي (٨٧٢ – ٩٠١هـ ١٤٦٧ – ١٤٩٥م) [٤] الأمير

---

(١) ظهر الاحتفال بالمولد النبوي منذ العصر الفاطمي بمصر واستمر وجود هذا الاحتفال إلى يومنا هذا ، ولم يكن يوم المولد هذا الذي يتم فيه تعيين أمير الحج فقد اختلف الوضع وأصبح التعيين يتم حسب ما يرى السلطان ، فمثلاً عيين السلطان قانصوه الغوري أمير الحج المصري الأمير طقطباي نائب القلعة سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) في يوم الاثنين ثالث وعشرين من شهر محرم . ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٨٢ – ١٩٨٤م ، ٤ / ٢٦١ .

(٢) سماط : جمع أسمطة ، وهو كل ما يمد من أواني الطعام في المآدب ، أو ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين . مصطفى عبد الكريم الخطيب : معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م ، صـ٢٥٨ .

(٣) الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ١٢٥ ، ابن إياس : مصدر سابق ، جـ١ ، ق٢ ، صـ٢٦٧ .

(٤) هو : الملك الأشرف سيف الدين ، أبو النصر ، قايتباي المحمودي ، الظاهري ، الجركسي ، تسلطن سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م) ، وله الكثير من الأعمال والإصلاحات والمنشآت في مصر وخارجها ، توفى سنة ٩٠١هـ (١٤٩٥م) .السخاوي : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة

برسباي الشرفي [١] فاعتذر للسلطان بعدم قدرته علي السفر فأعفاه وولي غيره [٢] .

وفي سنة ٩١٨هـ (١٥١٢م) اعتذر أمير الحج المصري يوسف الناصري [٣] شاد الشراب خاناه[٤] للسلطان قانصوه الغوري (٩٠٦ – ٩٢٢هـ / ١٥٠١ – ١٥١٦م) [٥] واشتكى له واعتذر بعدم القدرة فلم يقبل اعتذاره [٦] .

وعندما اعتذر أمير الحج المصري عمر ابن الملك المنصور عثمان بن جقمق [٧]سنة ٩٢٠هـ (١٥١٤م) من السلطان قانصوه الغوري وبكى وشكا لفقره

الحياة ، بيروت (د.ت) ، ٦ / ٢٠٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور،٣ /٣٢٤ .

(١) هو : الأمير برسباي الشرفي يونس الدوادار ، استادار الصحبة وأمير الحج سنة ٨٧٧هـ (١٤٧٢م) ، وكان رسول السلطان إلى ملك الروم ، توفى في عام حجه ، وكان من خيار أبناء جنسه . السخاوي : مصدر سابق ، ٣ / ١٠ .

(٢) ابن إياس : مصدر سابق ، ٣ / ٦٣ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مصادر.

(٤) شاد : مفتش ومراجع الحسابات ، والشراب خاناه هو بيت الشراب ، ويحوي مختلف أنواع الأشربة ومنها الأدوية التي يحتاج إليها السلطان ، فضلاً عن الأواني النفيسة المصنوعة من الصيني الفاخر. النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٢٣م – ١٩٩٤م ، ٨ / ٢٢٤ ، القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٠ – ١٩٢٠م ، ٤ / ١٠ .

(٥) هو : أبو النصر قانصوه الغوري تولى السلطنة سنة ٩٠٦هـ (١٥٠١م) ولقب بالملك الأشرف ، فأقام بها خمس عشرة سنة وتسعة أشهر ، وكان جباراً كثير القتل والسفك وله عدة مبان في مصر وبلاد الحجاز ، مات سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) .ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، حققه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط١ ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م ، ١ / ١٥٩ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٢٦٢ .

(٧) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مصادر.

، لم يلتفت السلطان إلى شكواه ولم يرق لبكائه [١] .

وكانت مراسم تعيين أمير الحج من الحفلات الأساسية في عصر المماليك ، إذ كان يتلى فيها القرآن الكريم وسيرة النبي (ﷺ) . كما تقام بعض الألعاب الترفيهية التي يؤديها المماليك وسط جمع من الأمراء من مقدمي الألوف [٢] .

وكان تكليف أمير الحج ينطوي على أمرين :

أحدهما سياسي بإضفاء الصفة الشرعية ، فهو يمثل السلطان في الحجاز.

والآخر ديني ، فهو قائد ركب الحج المصري [٣]

وفي بداية العصر المملوكي كان يتولى أمر قافلة الحج أمير واحد ، ثم تغير الأمر في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر من الميلاد ، حيث ظهر ما يسمى بأمير الركب وأمير المحمل [٤] ، وكان أمير الركب الأول أقل رتبة من أمير

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣٦١/٤ .

(٢) أمير مائة مقدم ألف : أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك ، وهذه الرتبة خاصة بأرباب السيوف ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك ، وهو في نفس الوقت مقدم على ألف جندي من أجناد الحلقة في وقت الحرب . سعيد عبد الفتاح عاشور : العصر المماليكي في مصر والشام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط٣ ، ١٩٩٤م ، صـ٤٠١ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢١٣ ، سميرة فهمي علي عمر : إمارة الحج في مصر مصر العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م ، صـ١٠٣ ، عرفة عبده على : الوظائف الرسمية بركب المحمل المصري في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الحج والعمرة (الرياض) ، السنة الستون ، العدد الثالث ، ربيع الأول ١٤٢٦هـ / أبريل – مايو ٢٠٠٥م ، صـ٧٠ .

(٤) المحمل :هو عبارة عن هيكل مربع من الخشب ، هرمي القمة ، له سترة من الديباج الأسود الأسود ، وعلي دوائره هدبه حريرية وشرا شيب ، والمحمل من الداخل صنع ببرقة من القماش المزركش ، وكتب علي وجهيه آيات قرآنية ،كما حوي المحمل مصحفين صغيرين وضعا داخل صندوق من الفضة ، وحمل المحمل علي جمل طويل جميل . إبراهيم حلمي :

المحمل فقد كان غالباً أمير عشرة [١] ، بينما كان أمير الحج أمير مئة ، لذا كان القائد العام لقافلة ركب الحج [٢] .

ولم يكن اختيار أمير الحج يتم عشوائياً بل لابد أن تتوافر فيه عدة شروط منها : أن يكون مسلماً ، بالغاً سن الرشد خالياً من العاهات الجسمية والعقلية ، كما يجب أن يكون مطاعاً ، ذا رأي وشجاعة وهيبة وهداية . هذا بالإضافة إلى القوة في الحكم بين الناس والقدرة على تنفيذ الأحكام ، وهذا الأمر يتطلب أن يكون أمير الحج له دراية بالأحكام الشرعية فضلاً عن العدل والأمانة والورع والتقوى ، وبما أن هذا المنصب من أرفع المناصب في الدولة الإسلامية فصاحبها لابد أن يكون شجاعاً له خبرة في الحروب ، وقدرة على أنواع القتال حتى يتثنى له رعاية وحماية ضيوف بيت الله الحرام [٣] .

المحمل ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، صـ١٦٦ .

(١) أمير عشرة : أحد الرتب الحربية التي يكون في خدمة صاحبها عشرة مماليك ، ويكون صغار الولاة من طبقة أمراء العشرات .القلقشندى : صبح الاعشي ، ١٤ / ٤ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٠٠ .

(٢) بدوي محمد فهد : تاريخ أمراء الحاج ، صـ١٩٣ ، سميرة عمر : إمارة الحج في مصر العثمانية ، صـ٦٨ ، عرفه عبده : الوظائف الرسمية بركب المحمل المصري ، صـ٧٠ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، صـ١٠٨ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٢٥ .

مهام أمير الحج المصري في العصر المملوكي :

وحتى لا يكون أمير الحج عرضة لسخط السلطان عليه إذا فشل في مهمته كان لابد من تحديد مهامه بعد تعيينه أميراً للحج حتى يرتفع إلى مستوى المسئولية التي يتولاها ليرضى عنه الحجاج والسلطان معاً [١] ، لذا كان على أمير الحج القيام بعدة مهام إدارية وقضائية ودينية واجتماعية وعسكرية ، يؤديها خلال رحلته المباركة إلى مكة وهي :

١- كان لأمير الحج مهام رئيسة تتعلق بإدارة القافلة بحكم وظيفته كقائد أعلى لها ، هذا بالإضافة إلى ترتيب عمليات شراء ونقل المؤن المرسلة مع القافلة أو التي ترسل قبل رحيل القافلة إلى الحصون على طول الطريق ، كما كان يقوم بالإشراف على توزيعها أثناء الرحلة [٢] .

٢- كان على أمير الحج أن يحصى ركب الحجاج خلال مسيرتهم وعند نزولهم بمحطات الركب ، وأن يحرص عليهم من اعتداءات البدو القاطنين على طول

---

(١) هناك العديد من الأمثلة تدل على سخط أو ثناء السلطان على أمراء الحج المصري فمثلاً: عندما كثرت الشكوى من أمير الحج المصري الأمير بلبان الشمسي سنة ٧١٤هـ (١٣١٤م) حيث كان كثير الطمع والإساءة إلى الحجاج خلال الرحلة ، فقبض عليه السلطان عند عودته وسجنه . وفي سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) شكر الحجاج سيرة أمير الحج الأمير شمس الدين آقشنقر السلحدار. كما أثنى السلطان قانصوه الغوري على أمير الحج المصري قانصوه كرت أحد المقدمين سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م) وخلع عليه خلعة سنية ونزل إلى داره في موكب حافل ، وذلك لالتزامه أثناء رحلة الحج ، وما قدمه للحجاج من أفعال الخير . المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٧٣م ، جـ٢ ، ق١ ، صـ١٣٥ ، ق٢ صـ٤٢٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٣٦٠ .

(٢) الجزيري درر الفرائد ، ١ / ٨٩ ، سميرة عمر : إمارة الحج ، صـ١٠٦ .

طريق الحج ، فكان عليه توزيع الإتاوات النقدية والعينية على شيوخ وأمراء القبائل ، أو قتالهم إذا لزم الأمر[١].

٣- يجب على أمير الحج النظر في أمر الفقراء في القافلة ومراعاة الضعفاء ، وتفقد أحوالهم ، والرفق بهم ، فيعطيهم المهلة الكافية عند إعلان الرحيل من محطات الركب لحمل أمتعتهم بكل راحة ويسر ، ومن الرفق بالحجاج ألا يسير بهم في الوقت شديد الحرارة أو البرودة ويصبر عليهم حتى يعتدل الطقس ، ويسلك بهم أوضح الطرق والمسالك ، ولا يسير بهم مرحلتين في مرحلة [٢] ، فإن في ذلك ضرر كبير ومشقة على الحجاج والجمال [٣] . وبذلك يكون خالف أهم واجباته نحو الحجاج ، فيذكر أنه في سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) أسرع الأمير علاء الدين مغلطاي [٤] بركب الحج في عودته إلى مصر فشق ذلك على الحجاج ، فأنكر عليه السلطان ما فعله وجهز مائتي جمل محملة بالزاد والماء

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٨٩.

(٢) المرحلة : المسافة التي يقطعها السائر في نحو يوم أو ما بين المنزلين ، وجمعها مراحل . مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، القاهرة ، ط٢، ١٩٧٢م ،٣٣٥/١ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، صـ١٠٨ ، الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ٩١ ، ١٠٠ ، سميرة عمر : إمارة الحج في مصر العثمانية ، صـ١٠٧ .

(٤) هو : الأمير علاء الدين مغلطاي بن عبد الله الجمالي المعروف بخُرز ، كان من أعيان المماليك في عصر الناصر محمد بن قلاوون ، فكان أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، وتولى الوزارة والاستادارية ، توفى بطريق الحجاز عائداً في سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م) . المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٣٥٣ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، ١٩٨٣م ،٢ / ٧٣٨ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،القاهرة (د.ت) ، ٩ / ٢٩١.

للحجاج المنقطعين بالطريق [١] . وفي سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) عجل أمير الحج المصري بيسق الشيخي [٢] على الحجاج في السير ولم يمر بهم على المدينة المنورة ، فهلك كثيرون من الضعفاء نتيجة سيره العنيف [٣] .

٤- اختص أمير الحج بمهمة فض المنازعات بين الحجاج ، حيث كان ينزل في كل محطة من محطات الحج ويتعرف على شكوى الحجاج وما وقع بينهم من خلافات ، فيصلح بينهم ، وإن كانت الخصومة شرعية أحال المتخاصمين إلى قاض المحمل ، وإذا دخل الحجاج منطقة معينة ووقعت بينهم منازعات ، جاز في هذه الحالة لأمير الحج أو حاكم المنطقة أن يحكم بين المتنازعين ، وأما إذا كان التنازع بين الحجاج وأهل البلد فلا يحكم بينهم إلا حاكم المنطقة أو البلد[٤] .

٥- كان على أمير الحج تأديب الجاني من الحجاج ، وعليه ألا يتجاوز في التعزير [٥] أو في الحد ولا يقتل إلا ما أجاز الشرع قتله قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ١٩٠ .

(٢) هو : الأمير بيسق بن عبد الله الشيخي الظاهري الأمير آخور الثاني ، أحد أمراء الطبلخانات ، مات في القدس سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) . المقريزي : مصدر سابق ، جـ٤ ، ق١ ، صـ٢٧٤ ، ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ١ / ٢١٠ ، النجوم الزاهرة ، ١٤ / ١٥٠ .

(٣) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٦٨٨ .

(٤) الجزيري : نفس المصدر والجزء ، صـ ١٠٠ ، ١٠٤ .

(٥) التعزير : التأديب بالضرب دون الحد ، لمنع الجاني من المعاودة ورده عن المعصية . ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ٤ / ٥٦٢ ، الفيومي : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، المكتبة العلمية ، بيروت، (د.ت) ، ٤٠٧/٢.

الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] .

٦- ويجب على أمير الحج أن يلزم الحجاج أثناء الرحلة بالمحافظة على الصلوات في أوقاتها ، ولو بالجمع بين الصلاتين المجموعتين في وقت واحد ، ولا يسمع لأحد أن يصلي صلاة الليل بالنهار وصلاة النهار بالليل[٢] .

٧- ونظراً لكثرة عدد الحجاج كان لابد من ترتيبهم خوفاً من الازدحام خاصة في الأماكن الضيقة [٣]. فيذكر أن أمير الحج المصري الأمير شهاب الدين أحمد[٤] ابن جمال الدين الاستادار [٥] قام بتنظيم ركب الحج وترتيبه وجعل جميع الحجاج قطارين متحاذيين في الذهاب والإياب في المضايق ، وأما في الأماكن الفسيحة فيسيرون بحريتهم ، وهو ما عرف بنظام التعقيب والترتيب ، وقد أصبح ذلك النظام عادة متبعة بعد ذلك بين أمراء الحج ، وقد كان الحجاج قبل ذلك يسيرون بلا نظام فإذا دخلوا إلى مضيق وقف أمير الحج بنفسه يراقبهم

---

(١) سورة : المائدة ، آية [٣٣] .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ١٠٤ .

(٣) الماوردي : الأحكام السلطانية ، صـ١٠٨ .

(٤) هو : شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الاستادار التتري الأصل القاهري ، جهزه والده أميراً للحج سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) على وجه يفوق الوصف ، عوقب وأتباعه بالقتل في ربيع الأول سنة ٨١٤هـ (١٤١١م) . السخاوي : الضوء اللامع ٢ / ٢٤٧ .

(٥) الاستادار : كلمة فارسية مركبة من " استد " بمعنى الأخذ و " دار " بمعنى ممسك فيكون فيكون معناها ممسك الأخذ أو متولي قبض المال ، وهي وظيفة من وظائف أرباب السيوف يتولى صاحبها شئون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خاناه= =والحاشية والغلمان ، وله مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٢٠ ، ٥ / ٤٥٧ ، حسن الباشا:الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م ،١/٤٤.

حتى يطمئن علي خروجهم من المضيق بغير قتال ، وعندما يخرجون يسيرون من غير تعقيب ولا ترتيب [١] .

٨- يجب على أمير الحج أن يراعى اتساع الوقت من أول سفره فعليه ألا يتأخر في خروجه من القاهرة عن موعده المعتاد وهو اليوم الثامن عشر من شهر شوال حتى لا يضيق عليهم الوقت في المسير ، وإذا وصلوا إلى مكة عليه أن يمهلهم الوقت الكافي لأداء مناسكهم [٢] .

وعلاوة على هذه الاختصاصات وتلك المسؤولية التي يتحملها أمير الحج تجاه الحجاج ، كانت هناك مسؤولية أخرى تنتظره في الحجاز ، حيث النزاعات والخصومات لا تهدأ بين أشراف مكة [٣] ، وكانت الدولة المملوكية تتدخل عن طريق أمير الحج المصري في المشاحنات بين أشراف مكة ، وذلك لأن الأمراء يهابون أمير الحج المصري ويقدرونه ؛ لأنه كان يقود معه إلى الحجاز قوة عسكرية كبيرة كفيلة بترجيح الجانب الذي تنحاز إليه [٤].

معاونو أمير الحج المصري :

كان تحرك قافلة الحج معناه انتقال مجتمع بكامله ، وأمير الحج بصفته رئيساً عليه مسئولية عظيمة تتطلب جهداً شاقاً ، وعملاً متواصلاً ، ولتعدد

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٦٨٨ ، محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥هـ /١٩٩٥م ، صـ٣٢ .

(٢) الماوردي : الأحكام السلطانية ، صـ١٠٩ ، الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ٢٦٣ .

(٣) أشراف وشرفاء : تطلق على الارتفاع والعلو ، وتطلق أيضاً على الشخص الحر الذي له آباء متقدمون في الشرف ، والأشراف هم رؤساء القبائل ذوو الشأن والجاه وبيدهم تدبير شؤون القبيلة ، وفي الإسلام صار الانتساب إلى بيت النبي (ﷺ) علامة شرف خاصة . ابن منظور : لسان العرب ٢٢١/١٠،المعجم الوسيط٤٦١/١ .

(٤) سميرة عمر : إمارة الحج في مصر العثمانية ، صـ١٠٨ .

مسئولياته كان لابد له من معاونين (موظفين) يساعدونه في مختلف مهامه حتى يتسنى له إنجاز عمله على أكمل وجه ، لذا فقد اشتملت قافلة الحج على العديد من الموظفين ، للقيام بالمهام المتنوعة المتعلقة بالقافلة .ومن أهم هذه الوظائف :

١- **الدوادار** (١) :

كان بمقام نائب أمير الحج ومستشاره ، وهو حلقة الوصل بين الأمير وبقية الموظفين ، والمباشر الفعلي للواجبات الملقاة على عاتق أمير الحج ؛ لذا كان يحل محل أمير الحج إذا كان الأمير ليس على مستوى المسئولية ، وللدوادار الحق في أنه إذا رأى من الأمير خللاً في أقواله وأفعاله أن يراجعه في ذلك (٢) .

وكان الدوادار يعيين من كبار الأمراء ، ويشترط فيه : الروية والسياسة في الأمور ، والشجاعة ، والفراسة ، والمعرفة . وكان للدوادار عوائد على أمير الحج ، وهي قفطان مذّهب إذا أدى عمله على خير وجه ، فضلاً عما يناله من أميري مكة وينبع (٣) ، غير أن هناك من الدوادارية من تخلى عن مهامه فأخذ الرشوة ، ومنهم

(١) الدوادار : أي ممسك الدواة ، والوظيفة اسمها الدوادارية وصاحبها يحمل دواة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوي . القلقشندي:صبح الأعشى ، ٤ / ١٩ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٢٣ .

(٢) ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ممالك مصر والشام والحجاز واليمن " تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (د.ت) صـ٥٨ ، علي بن حسين السليمان : العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م ، صـ٨٦ .

(٣) ينبع : موضع بين مكة والمدينة ، وهي منزل ركب الحجاج على ساحل البحر الأحمر ، وهي ثاني ميناء في الحجاز تبعد عن المدينة المنورة ٢٠٨كم . ياقوت : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م ، ٥ / ٤٥٠ ، سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، صـ١٤٠ ، ١٤١ .

من اشترك مع اللصوص في إلحاق الأذى بقوافل الحجاج [١] .

٢- قاضي المحمل :

كان أمير الحج يتولى تعيينه من بين قضاة المذاهب الأربعة ، ومهمته إرشاد الحجاج فيما يتعلق بالإحرام والمناسك وفرض العقوبة الشرعية على من يرتكب أي عمل مخالف ، وأن يقضي بين الحجاج فيما يختلفون فيه ، هذا بالإضافة إلى كتابة العقود ، وجميع ما يتعلق أو يتصل بأمير الحج وركبه ، وكان القضاة ملزمين بأن يراعوا مبادئ النزاهة وقواعد العدل والمساواة في فرض العقوبات التي يستحقها مرتكبو الجرائم أثناء الرحلة ، خوفاً من التعرض لسخط السلطان عند عودته من مكة [٢] .

٣- شهود المحمل :

كان قاضي المحمل يقوم بتعيين اثنين من أهل الخبرة والعدالة من أجل أن يشهدا على العقود الموقعة تحت إشراف القاضي ، ولا يعزلان إلا بمرض أو موت لأجل حفظ الوقائع والأحداث لتكون سجلاً خاصاً لأمير الحج مضبوطاً محفوظاً لا يشوبه لبس [٣] .

٤- كاتب ديوان أمير الحج :

استحدثت هذه الوظيفة في أواخر عصر المماليك ، وكان يتم تعيين المكلف

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٥ / ١١٥ ، الفاسي : شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) ، ٢ / ٥٣ ، عرفة عبده علي : الوظائف الرسمية بركب المحمل المصري ، صـ٧١ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ١٨٢ ، السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، صـ٨٧ .

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٥ / ٤٦٦ ، ١١ / ١٤٣ ، الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

بها وتحديد جامكيته [١] من قبل السلطان المملوكي ، واختص صاحب هذه الوظيفة بتدوين رسائل أمير الحج وأوامره ، وكان يتغيَّر بعزل أمير الحج عن وظيفته ؛ لأنه على إطلاع واسع على الشؤون السياسية والإدارية الخاصة بأمير الحج ، كما أنه على علم بأمور البلاد وأسرارها ، فربما يؤدي استمراره في وظيفته إلى تقصيره في واجباته [٢] .

٥- كاتب الصُّرة :

هو المسؤول الثاني بعد أمير الحج أمام السلطان فيما يخص صرّة الحرمين ، وكان يجب عليه تقديمها إلى مستحقيها ، موقعاً عليها من أمير الحج ، وكان يشترط فيه الأمانة والنزاهة ، وحسن التدبير في كتاباته ، وتنظيمه الحسابات ، كما كان يجب عليه أيضاً حضور الجلسات المنعقدة سنوياً ببركة الحاج [٣] كصراف الصُّرة للإشهاد على ما كان يتسلمه أمير الحج من صرر عينية ونقدية [٤] .

٦- ناظر المواريث :

كان ناظر المواريث مسؤولاً رسمياً عن ممتلكات الحجاج الذين توافيهم

---

(١) جامكية : الجمع جوامك ، وهي الرواتب عامة . محمد قنديل البقلي : التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، صـ٨٢ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٨٦ ، حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م ، صـ١٨٠ ، عبد العزيز الدوري : النظم الإسلامية ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٤م ، صـ٢٠٥ .

(٣) بركة الحاج : هي موضع يجتمع فيه الحجاج خارج القاهرة على بعد مرحلة واحدة من الجهة البحرية ، عرفت من قبل باسم جب عميرة ثم أصبح اسمها بركة الحاج بسبب نزول الحجاج بها عند سيرهم وعودتهم ، وهي تتبع الآن مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية . ياقوت : معجم البلدان ، ١ / ٤٠١ ، سيد بكر : الملامح الجغرافية ، صـ١٠٤، ١٠٥ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ١٢٦ ، سميرة عمر : إمارة الحج ، صـ١٨٣ .

المنيّة أثناء الرحلة أو في مكة والمدينة ، ولديه سجل خاص بالوفيات [١] .

٧- الإمام والمؤذن :

من أهم الوظائف التي استحدثت زمن سلاطين المماليك على أيد أمير الحج المصري ، وكانت تسند في أكثر الأحيان لشخص واحد ، وكان يشترط في الإمام يكون عالماً بالوقت ، وله معرفة بتحديد القبلة في طرق سير الحجاج ، أما المؤذن فيرفع الآذان في أوقات الصلوات الخمس ، كما كان لهما دور ديني كبير وهو إرشاد الحجاج وتوعيتهم وتوجيههم للقيام بالواجبات الدينية وتأدية الصلاة في أوقاتها [٢] .

٨- ناظر السبيل :

كان سلاطين المماليك يزودون قافلة الحج بالاحتياجات والمؤن الخاصة من الأموال الخيرية التي كان يطلق عليها " السبيل " وذلك لمساعدة الحجاج الذين ليس لديهم القدرة على توفير حاجاتهم ، لذا كان لزاماً اختيار مسؤول يتولى هذه المهمة الإنسانية ، وقد كان اختيار ناظر السبيل يتم من بين القضاة الأربعة في القاهرة [٣] .

٩- مبشر الحج :

كان صاحب هذه الوظيفة ينال الخير الكثير ، لأنه كان يقوم بدور رئيس وفعال زمن المماليك ، فبشارته عبارة عن التقرير الذي يعده عن الحالة العامة في مكة ، وحال الطقس بها ، وأسعار السوق ، ومعاملة الأشراف في مكة لأمير الحج المصري ، والحالة العامة للحجاج المصريين . كما كانت بشارته تبعث الاطمئنان

---

(١) عرفه عبده : الوظائف الرسمية ، صـ٧٢ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٥٧ ، حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ٣ / ١١٦٤ ، ١١٦٥

(٣) عرفه عبده : الوظائف الرسمية ، صـ٧٢ .

عند الأهل والأقارب والأصحاب ، وعلى قدر نجاحه في مهمته وقيمة أخباره تتحدد مكافأته [١] .

١٠ – أطباء قافلة الحج :

كان يرافق قافلة الحج فريق طبي يتكون من طبيب وجراح وكحال : (أي طبيب عيون) وطبيب بيطري لعلاج الدواب ، ومغسلين للأموات ، وكان هذا الفريق يحمل نوعيات مختلفة من العقاقير والأدوية لعلاج الحجاج بالمجّان ، وكانت جميع المصاريف على أمير الحج [٢] .

١١- التجريدة العسكرية :

كان يصحب قافلة الحج المصري خمسمائة من فرسان المماليك يرأسهم أربعة عشر سنجقا [٣] أو قائداً ، وهؤلاء القادة يرأسهم أمير الحج ، وكانت مهمتهم حراسة المحمل والقافلة وتأمينها طوال الطريق [٤] .

وإضافة إلى هذه الوظائف كانت هناك وظائف أخرى اختص أصحابها بخدمة القافلة مثل : المشرفون على عليق الخيول وسقيهم ، والطباخون المختصون بطهي الطعام وتوزيعه على الحجاج ، وشاد المحمل المختص بتنظيم الطريق للمحمل في المضايق ، ومقدم المشاعلية الذين يضيئون الطريق ، ومهتار [٥] الشرابخاناة وهو المشرف على أمر المشروب ، ومهتار الفراشخانة المختص

---

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ١ /٣٧٢ .

(٢) الجزيري : مصدر سابق ، ١/ ١٥٨ ، حسن الباشا : الفنون ، ١ / ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(٣) السنجق : هي رايات صفر صغار تربط بطرف الرماح ويحملها السنجقدار . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ /٨ ، ٥ /٤٥٦ ، ٤٥٨ .

(٤) عرفة عبده : الوظائف الرسمية ، صـ٧٢ .

(٥) المهتار : معناه بالفارسية الكبير ، وهو لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت ، كمهتار الشرابخانة ، ومهتار الفراشخانة ، ومهتار الراكابخانة . القلقشندي : مصدر سابق ، ٥ / ٤٧٠ .

بالإشراف على الفراشين للخيام ، والزردكاش [١] المسؤول عن الأسلحة في القافلة وغيرها من الوظائف الملحقة بإمرة الحج والتي تهدف إلى توزيع المسؤولية وتحديدها وضبط مسيرة ركب الحجاج في ذهابه وإيابه [٢] .

مخصّصات أمير الحج المصري :

كان أمير الحج يقوم فور تعيينه بالإعداد للرحلة المباركة ، تساعده الدولة بما خصصت له من عوائد مادية وعينية تعينه على القيام بعمله ، فقد كان أمير الحج يحصل من الديوان الشريف أو السلطاني [٣] على أحد عشر ألف دينار ، ثم ارتفعت إلى ثمانية عشر ألفاً ومائتي دينار في سنة ٨٧١هـ (١٤٦٦م) منها ثمن الجمال ، واستمرت هذه المخصصات لأمير الحج حتى منتصف القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي [٤] .

(١) الزردكاش : هو الصانع الذي يعمل في السلاح خاناه ، في صنع السلاح وإصلاحه وتجديده القلقشندي : مصدر سابق ، ٤ / ١٢ .

(٢) الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ١٢٣ – ١٧١ .

(٣) الديوان الشريف : كلمة فارسية اتخذتها الدولة الإسلامية لتدل على سجلات الدخل والخرج ، وكان التنظيم الديواني في عهد المماليك أكثر تركيزا لطبيعة السلاطين العسكرية فكانت توجد الدواوين في القلعة وعرفت باسم الدواوين السلطانية . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٥٦ ، البقلي : التعريف ، صـ١٣٩ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ،١ / ٤٣٠ ، محمد علي فهيم بيومي : مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، دار القاهرة للكتاب ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ، صـ١٨٧ .

وكان أمير الحج يتسلم راتباً سنوياً بصفته واحد من الأمراء ، بالإضافة إلى مدفوعات أخرى تسمى تسليمات تعطى له لسد نفقات المهام المكلف بها . وقد بلغت هذه المساعدات في نهاية العصر المملوكي مائة وخمسين ألف دينار ، وذلك لزيادة مصروفات الرسوم التي كانت تدفع للبدو على طريق الحج [١] .

وعلاوة على الإيرادات النقدية التي خصصت لأمير الحج كان له إيرادات عينية ، بلغ مقدارها ست آلاف إردب [٢] قمح ، وأربعة آلاف إردب فول ، وكان له من الجمال الشعارة [٣] مائتان ، ومن التشاريف [٤] أربع عشرة تشريفة. هذا بالإضافة إلى تحويل وقف بعض القرى إلى أمراء الحج [٥] .

فضلاً عن ذلك فقد كان لأمير الحج عوائد نقدية على أميري مكة وينبع ، تقدر بألفي دينار في السنة ، منها أربعمائة دينار على أمير ينبع ، وألف وستمائة دينار على أمير مكة ، وقد بلغت سنة ٨٨٦هـ (١٤٩٠م) خمسة آلاف دينار[٦] دينار[٦] .

---

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٤٣٣ .

(٢) الإردب : ميكال ضخم بمصر يضم أربعة وعشرين صاعا أو ست ويبات ، والإردب الحالي يساوي ٧٢ صاعاً أو ١٢ ويبة ، والويبة تساوي ستة أصع ، وهي بالضبط الكيلة المصرية الحالية ، فالأردب يساوي ١٢ ويبة أو كيلة . أحمد الشرباصي : المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م ، صـ٢٤ .

(٣) الشعَّارة : هم العربان المختصون بحمل الفول ، وقد عرفت جمالهم بجمال الشعارة نسبة إليهم .الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٤٢٤ ، سميرة عمر : إمارة الحج ، صـ٢٠٦ .

(٤) التشريفة : الخلعة أو الملابس المهداة من السلطان إلى كبار الأمراء في مناسبات خاصة . سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٠٩ .

(٥) سميرة عمر : مرجع سابق ، صـ١١٠ – ١١٣ .

(٦) الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ٣٠٣ .

كما كان يساعد أمير الحج في تجهيز قافلة الحج أكابر الأمراء والأعيان والوزراء ، فقد كانوا يقدمون له الأموال والهدايا والأعطيات لتوزيعها على الأعراب المنتشرين في طريق ركب الحجاج ولمن يستحق من المحتاجين [١] .

مراسم الاحتفال بخروج ركب الحج المصري :

كان الإعداد لرحلة الحج المصري يأخذ طابعاً خاصاً ، ربما لأن مصر هي التي كانت آنذاك تحوز شرف إعداد كسوة الكعبة [٢] وإرسالها هي والفرمان السلطاني [٣] إلى مكة مع أمير الحج المِحْمَل [٤] ، حيث كان خروج المحمل من

(١) الرشيدي : حُسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ، تحقيق : ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م ، صـ٤٣ .

(٢) كسوة الكعبة : عبارة من كسوة سوداء حالكة من الحرير مبطنة بالكتان ، ومطرزة في أعلاها بآيات من القرآن الكريم ، وكانت تصنع في دار الطراز بالإسكندرية ، وعند مشهد الحسين (ﷺ) ، وكان يشرف عليها ناظر الكسوة . القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٥٨ عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م ، ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٣) الفرمان : جمعه فرمانات ، وهي كلمة فارسية معناها عهد السلطان للولاة . مصطفى الخطيب : معجم المصطلحات ، صـ٣٣٨ .

(٤) ذهب بعض المؤرخين إلى أن تاريخ نشأة المحمل المصري ابتدأ سنة ٦٤٥هـ (١٢٤٧م) وقالوا: إنه الهودج الذي ركبت فيه شجر الدر الصالحية عندما قامت بأداء فريضة الحج ، ثم أدار المحمل وأرسله مع قافلة الحج السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٤هـ (١٢٦٥م) ، ثم أصبح بعد ذلك رمزاً للسيادة المملوكية على بلاد الحجاز ، وبعض الآراء تذهب إلى أن أول من أحدث المحمل هو الحجاج بن يوسف الثقفي . عبد الله عنقاوي :المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ – ١٩٧٢م ، صـ٣٢٣ – ٣٣٨ ، محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، صـ١٩٢ ، ١٩٣ .

المناسبات الجليلة القدر التي اختصت بها مصر الإسلامية ، واستمر المصريون في الاحتفال بتكريم محمل الحج ، وعرض كسوة الكعبة في مهرجان صاخب رائع الملامح والمناظر ، يحضره كبار الأمراء والعلماء والقضاة ، ويطوف الموكب شوارع القاهرة (١) .

كما كان أهالي القاهرة يهتمون بتزيين منازلهم وحوانيتهم على امتداد الطريق الذي يمر به المحمل ، والذي كان يسير أمامه الأمير المعين للإشراف على سفر ركب الحج إلى الحجاز في تلك السنة وبصحبته مجموعة من القائمين على حراسة الركب ، وتأمين سلامة الحجاج (٢) .

وقد احتفل بدوران المحمل مرتين ، مرة في شهر رجب ، والثانية في شهر شوال ، وكان الغرض من هذا التحديد ، إعلان أن الطريق آمن إلى الحجاز حتى يتأهب كل من يرغب في الذهاب إلى الحج ، وكان خروج المحمل عادة يوم الاثنين أو الخميس (٣) .

وكان المحمل المصري يخرج على رأس عدة ركوب تصل إلى سبعة ركوب لكل راكب أمير ، ويرأسهم أمير الحج الذي هو أمير الركب كله ، ومع مرور الأيام تطور المحمل تبعاً لأهميته وزيادة مهامه فتطورت تبعاً لذلك وسائل حمله من جمل يحمل الكسوة إلى ثمانية وعشرين جملاً (٤) .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ٤ / ٥٩ ، ٦٠ ، البتنوني : الرحلة الحجازية ، صـ١٤١ ، سيد بكر : الملامح الجغرافية ، صـ٨٨ .

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٨م ، ٢ / ١٩٤ .

(٣) القلقشندي : مصدر سابق ، ٤ / ٥٠٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٢٥٢ ، السليمان: العلاقات الحجازية المصرية ، صـ ١٣٧ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٣٧٢ .

وبعد الاحتفال بدوران المحمل يقصد ركب الحجاج بركة الحج انتظاراً لتجمع الحجاج ، ثم تبدأ القافلة في التحرك إلى الأراضي المقدسة في الوقت المحدد لها من شهر شوال ، وغالباً ما كان يتحرك الركب على دفعتين ، حيث يسير ركب المحمل ومعه كسوة الكعبة المشرفة ، ثم يتبعه ركب الحجاج في اليوم التالي [١] .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ المحمل لم يكن فقط عبارة عن جمل يحمل كسوة الكعبة ، وإنما كان رمزاً لسيادة مصر على الحجاز ، ورمزاً لعظمة وهيبة السلطان ، فهو سفير مصر في مكة وقت الحج حيث يجتمع المسلمون في كل مكان ؛ فلا عجب إذ بلغ المحمل المصري في العصر المملوكي من النظام والدقة في تكوينه وتقسيمه ، ما جعله أشبه بجيش عسكري في صرامته ودقة نظامه .

الفصل الأول

(١) آمنة حسين محمد علي جلال : طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ، صـ٢١ .

دور أمراء الحج المصري في الحياة السياسية في مكة

أحوال مكة السياسية في العصر المملوكي :

عندما قامت دولة المماليك سنة ٦٤٨هـ (١٢٥٠م) كان يحكم مكة الشريف حسن بن علي بن قتادة [١] ، وقد وصل إلى حكم مكة بعد أن انتزع حكمها من الملك المنصور ملك اليمن سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) [٢] ، واستمر الشريف حسن بن علي في حكم مكة حتى قتل سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) على يد أحد أبناء عمومته الطامعين في الإمارة وهو الشريف جماز بن حسن بن قتادة [٣] الذي استغل قدوم حملة من بلاد الشام لحماية الحجاج فأغرى قائدها بمساعدته على أخذ

(١) هو : الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الشريف الحسني المكي ، ولي إمرة مكة نحو أربع سنين ، من سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) حتى قتل سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) وقد كان رجلاً كريم الأخلاق شجاعاً مقداماً . الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م، ٣ / ٣٩٧ ، ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي تحقيق نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٨م ٥/١٠٥ .

(٢) هو : الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، نور الدين مؤسس الدولة الرسولية في اليمن ، دخل اليمن مع الملك المسعود الأيوبي وجعله نائباً عنه باليمن عندما توجه المسعود إلى مصر ، ثم استقل بها عندما علم بموت الملك المسعود بمكة ، قتل على يد المماليك سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م ، ٢٣ /١٧٣ ، ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ١ / ٥٠٢ .

(٣) هو : جماز بن حسن بن قتادة بن إدريس ، ولي إمرة مكة بعد قتل الشريف حسن بن علي سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) ثم ترك مكة في نفس العام بسبب زحف الشريف راجح بن قتادة عليها ، والشريف جماز هو جد الأشراف ولاة ينبع . الفاسي : العقد ٣ /٢٨٣ ، ابن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، طبعة معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م ، ١ / ٦٣٨ .

الحكم من الشريف حسن بن علي مقابل الدعاء للملك الناصر [١] حاكم دمشق آنذاك ، فتم له ما أراد [٢] .

ولم يستمر الشريف جماز سوى أربعة أشهر ، حيث داهمه عمّه الشريف راجح بن قتادة [٣] وانتزع الأمر منه ، ولم يستمر الشريف راجح في حكم مكة حيث نازعه ابنه غانم [٤] سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤م). ولم تصف له الأمور بمكة وذلك لظهور الشريفين أبي نمي [٥]، والشريف إدريس ابن قتادة [٦]واستوليا على حكم

---

(١) هو : السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد بن غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب ودمشق ، ولد سنة ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) ، تولي الملك سنة ٦٣٤هـ (١٢٣٦م) بحلب ودخل دمشق سنة ٦٤٨هـ(١٢٥٠) ، واستولى عليها ، قبض عليه التتار وقتله هولاكو في أواخر سنة ٦٥٨هـ (١٢٥٩م) . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ٢٣ / ٢٠٤ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ٤ / ١٣٧ .

(٣) هو : راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني ، ولي إمرة مكة أوقاتاً كثيرة ، نافس أخاه الحسن عندما ولي مكة بعد وفاة والدهما قتادة سنة ٦١٨هـ (١٢٢١م) ، وكان محباً للسلطة ، كان آخر حكمه بمكة سنة ٦٥١هـ (١٢٥٣م) ، وتوفي سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م) . الفاسي : العقد الثمين ، ٤ / ٧٨ .

(٤) هو : غانم بن راجح بن قتادة بن إدريس ، تولي حكم مكة سنة ٦٥٢هـ (١٢٥٤م) من والده بدون حرب ، واستمر حكمه لها ثمانية شهور فقط حيث انتزعها منه أبو نمي وإدريس بن قتادة . الفاسي : نفس المصدر ، ٥ / ٤٤٣ .

(٥) هو : أبو نمي محمد بن الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس ، ولي إمرة مكة نحو خمسين سنة شارك عمه إدريس بن قتادة في بعض سنوات حكمه ، توفي سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) ابن حجر : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، صححه : الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧م ، ٣ / ٤٢٢ .

(٦) هو : إدريس بن قتادة بن إدريس الحسني ، ولي إمرة مكة حوالي سبعة عشر عاماً شريكاً لابن أخيه

مكة [١] .

والحقيقة أنه بظهور أبي نمي بدأت بوادر نظام سياسي مهم لازم أشراف مكة طوال العصر المملوكي وهو نظام المشاركة في الحكم ، ومما لاشك فيه أن نظام الحكم في مكة بدأ مع بداية عهد أبي نمي .

وكان أبو نمي قد تمكن من الاستيلاء على مكة سنة ٦٥٣هـ (١٢٥٥م) واشترك هو وعمه إدريس بن قتادة في حكمها ، وفي سنة ٦٥٤هـ (١٢٥٦م) انفرد أبو نمي بالحكم ، بعد طرد عمه إدريس منها ، غير أن إدريس عاد إلى مكة مع عمه راجح بن قتادة الذي أصلح بينه وبين أبي نمي وظلا يشتركان في إمرة مكة حتى سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) ، وعندما اختلفا مرة أخرى ، وانفرد أبو نمي بإمرة مكة ، لعب السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨ – ٦٧٦هـ / ١٢٥٩ – ١٢٧٤م) [٢] دور الحكم بين شريفي مكة المتنازعين ، واستغل خلافهما لينيب عنه نائباً له في مكة ، ليكون في ظاهر الأمر حكماً بين الشريفين ، ويقضي على نزاعهما ،

أبي نمي ، وانفرد بحكمها وقتاً يسيراً ، ودارت الحرب بينهما كثيراً انتهت بمقتل إدريس على يد ابن أخيه أبي نمي سنة ٦٦٩هـ (١٢٩٩م) . الفاسي : العقد الثمين،٣/١٧٥ .

(١) ابن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، عبد الكريم الباز طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث ، جامعة أم القرى (د . ت) ، ٣ / ٧٦ ، ٧٧ ، السليمان : العلاقات الحجازية ، صـ١٩ .

(٢) هو : السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي أيوب ، ولد بأرض القبجاق وحمل إلى القاهرة ، فاشتراه الأمير علاء الدين البندقداري فنسب إليه ، ثم انتقل إلى الصالح نجم الدين أيوب ، وصار من مماليكه ، ثم اعتقه ، تولى السلطنة عام ٦٥٨هـ (١٢٥٩م) ، توفي عام ٦٧٦هـ (١٢٧٤م) . ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ٤ / ١٥٥ ، بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق : زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ٩ / ٣٢ ، مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م ، صـ١٢ .

وفي باطنه تقليصاً لسلطتهما أو ليكون الحل والعقد في شئون مكة بيد نائبه ، وبذلك يضمن ولاء حكام مكة له [١] .

وكان السلطان الظاهر بيبرس في بداية الأمر قد اعترف بأبي نمى حاكماً منفرداً على مكة واشترط عليه " تسهيل بيت الله للعاكف والباد ، وألا يؤخذ عنه حق ، ولا يمنع زائر في ليلٍ أو نهار ، ولا يعرض لتاجر ولا حاج بظلم ، وأن تكون الخطبة والسكة له ، ولأبى نمى على ذلك عشرين ألف درهم نقرة " [٢] . أما إدريس فبعد أن هدد أبا نمى ، اصطلح معه واشتركا في حكم مكة ، واتفقا على طاعة الظاهر بيبرس [٣] .

وقد ترتب على ذلك نتيجة مهمة ، وهي فرض السيطرة المملوكية على مكة ، وظفر أميري مكة : أبي نمى وإدريس بحماية الدولة المملوكية ، وجراية سنوية مقابل النزول عن استقلالهما الذاتي ، وأصبحا نائبين للسلطنة المملوكية ، يحكمانها بموجب التقليد الممنوح لهما من قبل السلطان المملوكي ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان أبو نمى وإدريس يضمران الغدر لبعضهما ، حيث يطمع كل منهما في الانفراد بالسلطة وإقصاء الآخر ، وقد حدث بينهما العديد من الحروب والمكايد

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، صـ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى،٣/٩٣.

(٢) الدراهم النقرة : أي البيضاء ، وتتألف من فضة ونحاس : الثلثان فضة والثلث نحاس ، والعبرة في وزنها بالدراهم وهو أربعة وعشرون قيراطاً . والنقرة معدن الذهب ، وقد شاعت الدنانير والدراهم النقرة المعروفة بالكاملية والمنسوبة إلى السلطان الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب ، وتعرضت العملة الذهبية في العصر المملوكي للتلاعب في عيارها ووزنها وتعديل حجمها. القلقشندي : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٤١ ، عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٤م ، صـ٧١ ، ٨٤ .

(٣) الفاسي : العقد ، ١ / ٤٥٩ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٩٣ .

انتهت بانتصار أبي نمى وانفراده بالسلطة بعد قتله للشريف إدريس في مواجهة بينهما سنة ٦٦٩هـ (١٢٧٠م) واستمر حكم أبي نمى لمكة ، حتى وفاته سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) [١] .

وبعد وفاة الشريف أبي نمى بدأ الصراع بين الأشراف وبدأ يظهر معه دور أمراء الحج المصري السياسي .

دور أمراء الحج المصري في الصراع بين أشراف مكة :

لم يشرك أبو نمى معه أحداً في حكم مكة ، حتى وفاته سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) ، وإن كان قد أعطى الشريف محمد بن إدريس [٢] ربع واردات الإمارة كل سنة ، لكن دون مشاركة في الحكم ، غير أن أبانمي غير سياسته هذه قبل موته بيومين ، عندما أمر أن يدعى لولديه حميضة [٣]

(١) ابن خلدون : العبر ، ٤ / ١٠٧ ، الفاسي : العقد ، ١ / ١٧٦ ، المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، ص٥٩٧ .

(٢) هو : محمد بن إدريس بن قتادة بن مطاعن ، كان أبو نمى كثير الاغتباط به فأعطاه ربع ما يتحصل لأمير مكة كل سنة ، وبعد موت أبي نمى أشار الناس على أولاده بقتل محمد بن إدريس ، لأنه لا تكون لهم سلطة حقيقية بوجوده ، ولكن لم يتم شيء من ذلك الخزرجي : العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، صححه ونقحه : محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، ١٩١١م ، ١ / ٣٣٦ .

(٣) هو : حميضة بن أبى نمى بن حسن بن علي بن قتادة أمير مكة ، تولى إمرة مكة أربع مرات ، مرتان شريكاً لأخيه رميثة ، ومرتان مستقلاً ، وكان شجاعاً مقداماً ، مات مقتولاً سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) . ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٦٩ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٦ / ٥٣ .

ورميثة [١] على قبة زمزم بصفتهما شريكين له في إمرة مكة دون باقي أبنائه [٢] .

وبعد وفاة أبيهما استمرت مشاركتهما في الحكم مدة عشرة أشهر ، نازعهما فيها محمد بن إدريس بن قتادة من جهة ، وأخواهما : أبو الغيث [٣] وعطيفة [٤] من جهة أخرى .وكان لهذا الخلاف آثار كبيرة على سياسة مكة الداخلية وعلى وضعها الأمني ، حيث انقسم الناس في تأبيد الأخوة ، وكان بعض أمراء الحج يميلون إلى تأبيد بعض الأخوة دون بعض مما أدى إلى تطور النزاع واستمراره فترة طويلة .

(١) هو : رميثة بن أبى نمى بن حسن بن علي بن قتادة ، كان يلقب بأسد الدين ، ولي إمرة مكة ثلاثين سنة في سبع مرات ، استقل فيها بالإمرة خمس مرت ، واشترك مع أخيه حميضة مرتين ، توفى سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٣ / ١١١ ابن العماد : شذرات الذهب ، ٦ / ١٤٩ .

(٢) بيبرس المنصوري : التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م ، صـ١٦٢ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٣٤٤ .

(٣) هو : أبو الغيث بن أبي نمى محمد ، وكان يلقب بعماد الدين ، ولي إمرة مكة سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) شريكاً لأخيه عطيفة ، وجرت حروب كثيرة بينه وبين أخويه رميثة وحميضة ، وعزل وتولى عدة مرات ، قتله أخوه حميضة ، سنة ٧١٤هـ (١٣١٤م) . الفاسي : العقد ، ٦ / ١٠١ .

(٤) هو : عطيفة بن أبي نمى محمد بن حسن ، يلقب سيف الدين ، أمير مكة ولي إمرة= = مكة حوالي خمس عشرة سنة مستقلاً بها في بعضها وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها ، توفى بالقاهرة سنة ٧٤٣هـ (١٣٤٢م) .ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ٤٥٥ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٢٦ .

ففي سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) اجتمع الشريف أبو الغيث وعطيفة مع أمير الحج المصري الأمير بيبرس الجاشنكير [١] ، وتم الاتفاق على توليتهما إمرة مكة ، وعزل حميضة ورميثة ، ولم يكتف أمير الحج المصري بعزلهما ، بل قام بالقبض عليهما ، وسجنهما في مصر [٢] . والواقع أن هذه الأحداث تمثل بداية تدخل أمراء الحج المصري وتصدع استقلال الأشراف بمكة ، إذ بدأت الدولة المملوكية – عن طريق أمراء الحج – تتدخل تدخلاً مباشراً في شؤون مكة السياسية ، فعندما لم يستطع كل من أبي الغيث وعطيفة ضبط الأمور في مكة ، أرسل السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ – ٧٠٧هـ / ١٢٩٨ – ١٣٠٨م) [٣] مرسوماً بعزلهما والقبض عليهما سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٥م) وذلك مع أمير الحج المصري الأمير عز

---

(١) هو : السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري الجاشنكير ، أصله من مماليك الملك المنصور قلاوون ، كان جركسي الجنس ، ويعتبر أول سلطان من الجراكسة حكم مصر ، أخذ يترقى في مناصب الدولة من عهد الملك الناصر قلاوون حتى ولي السلطنة سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٩م) ، وقتل في العام التالي سنة ٧٠٩هـ(١٣١٠م) القلقشندى : مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب بيروت (د.ت) ، ٢ / ١٢٦ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٨ / ٢٣٢ .

(٢) ابن حجر : مصدر سابق ، ٢ /٢٧٥، ٢٧٦ .

(٣) هو : السلطان ناصر الدين أبو المعالي محمد بن قلاوون ولد سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م) تسلطن بعد مقتل أخيه السلطان الأشرف وعمره تسع سنين ، ثم خلع وخرج إلى الكرك ، ثم أحضر إلى مصر سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٨م) وتسلطن للمرة الثانية ، ثم خلع وهرب إلى الكرك أيضاً سنة ٧٠٨هـ (١٣٠٨م) ثم عاد في العام التالي ، واستقر في الملك حتى توفى سنة ٧٤١هـ (١٣٤٠م) ، كان ملكاً مهاباً مطاعاً عارفاً بالأمور ، عمّر في أيامه العديد من المساجد والخوانق . المقريزي : المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م ، ٧ / ١٢٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور،١/٤٣١ .

الدين أيبك خازندار [١] ، والذي اصطحب معه حميضة ورميثة إلى مكة وأجلسهما علي عرش الإمارة بعد إطلاق سراحهما [٢] ، واستمرا في حكم مكة حتى عزلا سنة ٧١٣هـ (١٣١٤م) بأخيهما أبي الغيث ، وظلت مكة تعاني من صراع مرير بين أبناء أبى نمى ، حتى انتهى الأمر لصالح رميثة بدعم من أمير الحج المصري سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٧م) [٣] .

وفي سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) طلب الشريف ثُقَبَة [٤] من أمير الحج المصري طيبغا المحمدي [٥] أن يحارب معه أخاه

---

(١) هو : الأمير عز الدين أيبك خازندار أحد مماليك المنصور قلاوون ، تنقل في الخدمة إلى أن صار أميراً من أمراء مصر ، تزوج ابنة الملك الظاهر بيبرس . المقريزي : مصدر سابق ، ٢ / ٣٢٨.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٤٢ .

(٣) الفاسي : العقد ، ١ / ١٧٧ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٣٥ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٢ / ٥٥ ، القلقشندي : مآثر الإنافة ، ٢ / ١٢٦ .

(٤) هو : ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد الحسنى المكي ، الملقب بأسد الدين ، ولي إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان ومستقلاً في بعض السنين ، وكان الحرب بينه وبين عجلان مستعرة في أغلب الأحيان ، ويعودون إلى الصلح حتى عزلا عن الحكم سنة٧٦٠هـ (١٣٥٨م) ، توفى ثقبة سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) . ابن حجر : الدرر الكامنة،١/٥٣٠ ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٤ / ١٩٩ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٩١ .

(٥) هو : طيبغا بن عبد الله المحمدي أحد أمراء الألوف في الديار المصرية ، توفى سنة ٧٧١هـ (١٣٦٩م) . ابن حجر : الدرر ، ٢ / ٣٣٣ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٣٧٦ .

الشريف عجلان [١] ، ولكن أمير الحج رفض ذلك ، فما كان من ثقبة إلا أن استعد لحرب أخيه ، ولكن أمير الحج المصري أرسل وفداً إلى الشريف عجلان ، وتفاوض معه درءاً للشر على أن تكون إمارة مكة مشاركة بينه وبين الشريف ثقبة ، ثم توجه الوفد إلى ثقبة وعرض عليه الأمر حتى وافق على ذلك [٢] .

ولم يستقر الوفاق بين الأخوة ثقبة وعجلان طويلاً ، ففي سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) شكا الشريف عجلان إلى أمير الحج المصري الأمير زين الدين عمر شاه الحاجب [٣] من أخيه ثقبة ، وذكر له ما فعله وبكى ، فطلب أمير الحج من بعض الأمراء أن يذهبوا إلى الشريف ثقبة ومعهم الشريف عجلان من أجل الصلح ، فلما ذهبوا إلى الشريف ثقبة ، وكان معه الأشراف وقوادهم وعبيدهم ، حدثوه في أمر الصلح بينه وبين أخيه عجلان ، فرفض الصلح إلا إذا كان السلطان المملوكي هو الذي أمر بذلك . وبعد معرفة أمير الحج المصري رفض الشريف ثقبة الصلح مع أخيه ، أمر بالقبض عليه هو ومن معه من إخوته وبني عمهم وكبَّلوا بالحديد ، ثم أحضر الشريف عجلان وألبسه الخلعة وأقره على حكم مكة ، فسر الناس بذلك ،

---

(١) هو : عجلان بن رميثة بن أبي نمى الحسنى المكي ، ولي إمرة مكة نحو ثلاثين سنة مستقلاً بها مدة ، وشريكاً لأخيه ثقبة مدة ، وشريكاً لابنه أحمد مدة ، وكان بداية توليه سنة ٧٤٦هـ (١٣٤٥م) بأمر الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون ، وكان غالب حكمه في صراع مع أخيه ثقبة ، توفى عجلان سنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) . ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٢٣ ، ابن تغري بردي : مصدر سابق ، ١ / ٤٤٢ .

(٢) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٢٥٦ ، المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٨٥٨ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٦٥٢ ، ٦٥٣ .

(٣) هو : زين الدين عمر شاه الحاجب الركني ، نائب حماة ، وليها مرتين ، ثم حجوبية دمشق توفى سنة ٧٧١هـ (١٣٦٩م) . ابن تغري بردي : مصدر سابق ، ١ / ٥٩٧ ، الجزيري : مصدر سابق ، ١ / ٦٥٤ .

ثم ذهب أمير الحج بالأشراف المقبوض عليهم إلى مصر [١] .

وفي سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) ثارت الحرب بين الأشراف وانقسم الناس إلى فريقين مما أدى إلى اضطراب الأمن في مكة ، وكان السبب في ذلك مقتل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان [٢] ، فأرادت السلطة المملوكية أن تسيطر على الأوضاع في مكة ، فأمرت بتعيين الشريف عنان بن مغامس [٣] حاكماً لمكة شريكاً لعلي بن عجلان [٤] ، غير أن الأوضاع لم تهدأ ، مما جعل السلطة في مصر تأمر أمير الحج بالقبض على الشريف عنان سنة ٧٩٤هـ (١٣٩١م) وبقي مسجوناً حتى وفاته سنة ٨٠٥هـ (١٤٠٢م) [٥] .

وفي سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) حدث صراع بين الشريف أحمد الجازاني

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٦٠ ، المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٩٠٣ – ٩٠٧ .

(٢) هو : محمد بن أحمد بن عجلان الحسني المكي ، ولي أمرة مكة ثمان سنين شريكاً لأبيه ، وكان أول ولايته لمكة سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨م) ، وانفرد بالسلطة سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) بعد وفاة والده ، قتل بتدبير من الدولة المملوكية في نفس العام الذي تولى فيه .الفاسي : العقد ، ٢ / ٣٣ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ٢ / ٥٨٤ .

(٣) هو : عنان بن مغامس بن رميثة بن أبى نمى ، لقب بزين الدين ، ولي إمرة مكة لمدة عام ثم عزل ثم تولاها سنتين ، توفى بمصر سنة ٨٠٥هـ (١٤٠٢م) . ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٤٣٣ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ١٤٧ .

(٤) هو : علي بن عجلان بن رميثة بن أبي نمى ، ولي إمرة مكة ثمان سنين وثلاثة أشهر مستقلاً بالإمارة ماعدا سنتين كان شريكاً لعنان بن مغامس ، وبداية ولايته في سنة ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) ، وقتل سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤م) على يد الأشراف . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٤٦٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٦ / ٣٥٠ .

(٥) الفاسي : العقد ، ٥ / ٤١٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٣٣ .

[١] والشريف بركات [٢] على إمرة مكة ، والتقي أحمد الجازاني بأمير الحج المصري الأمير اصطمر بن ولي الدين [٣] في ينبع ، وطلب منه أن يكون أميراً لمكة عوضاً عن أخيه الشريف بركات ، فامتنع ، فهدد أمير الحج المصري بنهب قافلة الحج ، فخاف منه ، وألبس أحمد الجازاني التشريفة بإمرة مكة ، غير أن الأمير اصطمر بن ولي الدين اضمر أن يمسكه عند دخوله مكة ويكاتب أخاه الشريف بركات ، وفي أثناء ذلك وصل رسول الشريف بركات ، فما كان من أمير الحج المصري إلا أن تصرف بذكاء للتخلص من شر الشريف الجازاني ومن معه فوضع رسول الشريف بركات في الحديد فاطمأن الجازاني لذلك ورحل قبلهم إلى مكة ، فما كان من أمير الحج المصري إلاّ أن أطلق سراح رسول الشريف بركات ليبلغه بما حدث لكي يستعد لمحاربة أخيه أحمد الجازاني عند دخوله مكة ، ولكن جواسيس الشريف أحمد الموجودة في ركب الحج المصري أخبرته بذلك ، فعسكر في منطقة بدر [٤] ، حيث

---

(١) هو : أحمد بن محمد بن بركات بن حسن الحسنى المكي ، يلقب بالجازاني نافس أخاه بركات في حكم مكة وذلك بعد وفاة أخيه هزاع ، ودارت الحرب بين الأخوين فترات عديدة قتل سنة ٩٠٩هـ (١٢٥٣م) .السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، تحقيق : جميل عبد الله المصري ، وماجدة زكريا ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، ٣ / ١١١ .

(٢) هو : بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان الحسنى المكي ، ولد سنة ٨٦١هـ (١٤٥٦م) مارس الحكم شريكاً لأبيه سنة ٨٧٨هـ (١٤٧٣م) ثم انفرد بحكم مكة بعد وفاة والده سنة ٩٠٣هـ (١٤٩٧م) ونافسه أخوته على الحكم ودارت بينهم حروب عديدة ، توفى سنة ٩٣١هـ (١٥٢٤م) . القرماني : أخبار الدول وآثار الإول ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت) ، ٢ / ٣٤٦ .

(٣) لم أعثر له على ترجمة فيما لدي من مصادر.

(٤) بدر : مدينة بالحجاز تقع بين مكة والمدينة أسفل وادي الصفراء ، وهي ذات موقع تاريخي هام حيث شهدت أول غزوة للنبي (ﷺ) ضد المشركين ، وهي تبعد عن المدينة حوالي

التقى بالحجاج الشاميين وطلب منهم المال ، فلما امتنعوا قاتلهم وهزمهم [١] .

وبعد أداء المناسك طلب الحجاج المصريون من الشريف بركات أن يكون معهم حتى يصلوا إلى ينبع ، فطلب منهم الانتظار حتى يجمع أعوانه ، وخرج معهم قبل أن يجمع باقي جماعته ، وعندما وصل الشريف بركات إلى بدر ، طلب من أمير الحج المصري ومن معه من الأمراء أن ينتظروا باقي أعوانه ، ولكنهم تعجلوا القتال ، فانتصر عليهم الشريف أحمد وقتل كثير من الحجاج ونهب ركب الحج ، وهرب أمير الحج المصري [٢] . فكانت هذه صورة بشعة لما تعرض له الحجاج المصريون بسبب تدخل أمير الحج في صراعات الأشراف.

وهكذا نجد أن تدخل أمير الحج المصري بين الأشراف ، كان يؤدي إلى تغلب شريف على آخر ، وفي بعض الأحيان كان هذا التدخل يعرض الحجاج المصريين للهلاك .

٥٥كم وهي قاعدة وادي الصفراء تقع على الطريق إلى مكة . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢٥٢ ، عاتق بن غيث البلادي : معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ١ / ١٨٩ .

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٣٦ ، ٣٧ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٧٨١ – ٧٨٦ .

(٢) ابن طولون : مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق : محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ١ / ٢٦١ .

علاقة أمير الحج المصري بأشراف مكة :

كان أمير الحج المصري أقوى أمير حج يصل إلى أرض الحرمين ، لأنه يمثل الدولة المملوكية التي تزعمت السيطرة على الحجاز عامة ، لذلك كان أشراف مكة يخطبون مودته ويعملون على إرضائه ، وفي المقابل كان أمير الحج المصري يحمل إلى أشراف مكة الكثير من الهدايا والمنح والتشاريف والأموال المخصصة للحرمين الشريفين ، فضلاً عن المكافآت الفورية التي تقدم لشريف مكة ولأولاده ، والتي تصل إلى ألف دينار لشريف مكة ، وخمسمائة دينار لأولاده [١] .

وهذه العلاقة الودية دعمت بالتعاون بين أمير الحج المصري وشريف مكة في مواجهة العديد من المشكلات ، مثال ذلك ما حدث في سنة ٨١٧هـ (١٤١٤م) عندما وقع بين أمير الحج المصري الأمير جقمق المؤيدي [٢] وبعض القواد في مكة من قتال في المسجد الحرام وخارج المسجد انتهكت خلاله حرمة المسجد الحرام ، لما حصل فيه من القتال بالسلاح والخيل وإراقة الدماء وتلويثه بروث الخيل ، وإغلاق بعض أبواب المسجد الحرام ، وكان سبب ذلك قيام أمير الحج المصري بتأديب بعض غلمان أحد قواد مكة على حملهم السلاح بمكة وسجنهم ، فتوسط شريف مكة لدى أمير الحج المصري من أجل اطلاق سراح الغلمان ، وتم إخماد الفتنة بفضل شريف مكة وأمير الحج المصري الذي أبدى تعاونه حفاظاً على سلامة الحجاج وحتى لا يراق المزيد من الدماء [٣] .

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٢، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٨ / ٥٨ .

(٢) هو : جقمق المؤيدي الأرغونشاوي ، الدوادار الكبير في الدولة المؤيدية شيخ ثم نائب دمشق ، قتله الأمير ططر في سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) وأصله من مماليك أرغون شاه أمير مجلس.ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٢٤٥ ، النجوم الزاهرة ، ١٤ /٢٤٠ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٥٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٤٣٢ ، العصامي : سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ،

لم تستمر العلاقات ودية بين أمراء الحج المصري وأشراف مكة ، فقد شابها بعض التوتر . ففي سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) جهزّ السلطان المنصور قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩هـ / ١٢٧٩ – ١٢٩٠م) [١] ثلاثمائة فارس إلى مكة مع أمير الحج علم الدين سنجر الباشقردي [٢] ، وكان ما حمله على إرسال هذه الحملة ، سوء معاملة شريف مكة أبي نمي للحجاج ، ولما بلغ أبا نمي قدوم العسكر المملوكي ، رفض الخروج لاستقبال ركب الحج على ما جرت به العادة ، واكتفى بإرسال بعض قوَّاده ، لكن أمير الحج سنجر الباشقردي أصرَّ على حضور شريف مكة ، واستعد لمحاربته إذا هو لم يحضر ، عندئذٍ أغلق أبو نمي أبواب مكة ، ولم يستطع أحد من الحجاج دخولها ، فما كان من أمير الحج إلا أن أمر أتباعه بنقب السور ودخول مكة يوم التروية (الثامن من شهر ذي الحجة) بعد فرار أبي نمي ومن معه خارج مكة ، فقام قاضي القضاة برهان الدين السنجاري [٣] بمصالحة أبي نمي مع

١٣٨٠هـ/١٩٦١م ، ٤ / ٢٥٦ .

(١) هو : الملك المنصور سيف الدين أبو المعالي قلاوون الصالحي النجمي الألفي ، اشتراه الأمير آق سنقر بألف دينار ، فعرف بالألفي تسلطن سنة ٦٧٨هـ (١٢٧٩م) وكان ملكاً كريماً مهيباً حليماً حسن السيرة ، فتح البلاد وعمرّ المدارس والقلاع ، توفي سنة ٦٨٩هـ (١٢٩٠م) . بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ، ٩ / ١٧٦ ، ابن تغري بردي : مورد للطاقة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق ، نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٩٩٧م ، ٢ / ٣٨ – ٤٠ .

(٢) هو : علم الدين سنجر بن عبد الله الباشقردي ، نائب حلب توفي سنة ٦٨٦هـ(١٢٨٧م) ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٣٢٤ .

(٣) هو : القاضي أبو محمد الخضير بن الحسن بن علي السنجاري الشافعي ، كان وزيراً للمنصور قلاوون توفي سنة ٦٨٦هـ (١٢٨٧م) . ابن العماد : شذرات الذهب،٥/٣٩٥.

الباشقردي أمير الحج [١] .

وفي سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) حدث صدام بين أمير الحج المصري سيف الدين نوغاني المنصوري [٢] والشريف حُميضة ، وذلك بسبب اعتداء العبيد على أموال التجار ، حيث وقف بعضهم على أحد التجار ليأخذ قماشه فمنعه التاجر فضربه العبيد ضرباً مبرحاً ، فثار الناس وتصايحوا فما كان من أمير الحج إلاّ أن أمسك ببعض العبيد وفرّ الباقون ، وعندما علم الشريف حُميضة ركب هو وعبيده والأشراف ونادوا للحرب ، ونادى أمير الحج المصري بأن لا يخرج أحد من الحجاج ، وليحفظ متاعه ، وقد فرّ طائفة من السرويين [٣] من الخوف إلى الجبل فقُتل جماعة منهم ظناً أنهم من العبيد ، وكف حميضة عن القتال ، وأرسل إلى أمير الحج يسترضيه حتى قبل الصلح وانتهى الأمر على ذلك [٤] .

وفي سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) حدثت فتنة بين أمير الحج المصري الأمير

---

(١) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، حققه : مراد كامل ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١م ، صـ١٨ ، ١٩ ، ٢١٢ ، المقريزي السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٧٢٤ ، العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٧م – ١٩٩٢م ، ٢ / ٣٣١ .

(٢) هو : سيف الدين نوغاني المنصوري الجمدار ، تقدم إلى أن صار من كبار الأمراء ، حج بالناس سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) ، بعثه الناصر محمد إلى دمشق ، ثم انهمك في اللهو ، فغضب عليه السلطان الناصر واعتقله ، وظل في محبسه حتى مات سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤ / ٢٩٨ .

(٣) السَّرْو : منازل حمير بأرض اليمن وهي عدة مواضع منها : سرو العلاة ، ومندد ، وقرية كبيرة مما يلي مكة ، وإلى هذه السروات ينسب القوم الذين يحضرون مكة ويجلبون الميرة ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ٢١٧ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ،٢ / ٢٤٣ ، المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٤٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٢ / ١٤٥ .

بيبرس الدوادار [١] وأمير مكة الشريف عطيفة بن أبي نمي بسبب شدة مغالاة شريف مكة في جباية الأموال من الحجاج ، بحجة أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون لم يلتزم بما كان مقرراً من قبل السلطان الظاهر بيبرس لأهل مكة ، وعدم قناعة الشريف عطيفة بما كان يرسل إليه من مصر ، فتدخل القضاة والعلماء بينهما وتم الصلح [٢] .

وكان هناك صدام وقع سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م) بين أمير الحج المصري بيسق الشيخي ، وشريف مكة حسن بن عجلان [٣] ، وذلك عندما بعث السلطان الناصر فرج (٨٠١ – ٨١٥هـ / ١٣٩٨ – ١٤١٢م) [٤] مرسوما مع أمير الحج بالقبض على الشريف حسن وولديه وعزلهما ، فما كان من الشريف

---

(١) هو : بيبرس بن عبد الله المنصوري قلاوون الخطائي الدوادار ، رأس ميسرة ، وكبير الدولة الناصرية (محمد بن قلاوون) ونائب السلطنة بالقاهرة ، وصاحب التاريخ المشهور وصاحب المدرسة الدوادارية بالقاهرة ، توفي سنة ٧٢٥هـ (١٣٢٤م) . ابن حجر : الدرر ،١ /٣٠٠ ، ٣٠١ ، ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ٢٠٥/١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٦ /٦٦

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ٦٢٧/١ ، الرشيدي : حسن الصفا ، صـ١٣٢ .

(٣) هو : حسن بن عجلان بن رميثة ، لقب ببدر الدين ، ولي إمرة مكة إحدى وعشرين سنة وتسعة شهور مستقلاً ، ووليها سنة وسبعة أشهر شريكاً لابنه بركات ، توفي سنة ٨٢٩هـ (١٤٢٥م) بالقاهرة ، ودفن بها . الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠ – ١٩٩٤م ، ١ / ٤١٥ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٢ / ١٠٤ .

(٤) هو : زيد الدين أبو السعادات فرج بن برقوق تسلطن بعد أبيه سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) وكان عمره دون العشر سنين ، وتم أمره وطالت أيامه ، وحصل خلاف بينه وبين مماليك أبيه ، فخلع من السلطنة سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) ابن تغري بردي:المنهل الصافي،٣٧٩/٨ ، ٤٠١ ، مورد اللطافة ، ٢ / ١٢١ – ١٣٢ .

حسن إلاّ أن استعد للحرب ، فلما علم أمير الحج بيسق بذلك أعلن الحرب في ينبع قبل وصوله مكة ، وخلال هذه الفترة تراجع السلطان في قراره وأرسل رسولاً من قبله يدعي فيروز الساقي [1] إلى أمير مكة بالعهد والخلع ، وكتب إلى أمير الحج المصري بالكف عن محاربة أمير مكة ، فتم الصلح بعد أن حدثت مناوشات بين الشريف حسن وأمير الحج المصري ، أدَّت إلى قتل العديد من الحجاج ونهب الكثير منهم أثناء توجههم إلى عرفة ومنى ، وتخلف أكثر أهل مكة عن الحج في هذا العام بسبب هذه الفتنة[2] .

هكذا كانت العلاقة بين أمير الحج المصري وأشراف مكة ، والتي كانت تتأرجح بين الود والصدام ، وإذا حدث صدام ومناوشات كانت تؤدي إلى هلاك الكثير من أهل مكة والزوار والحجاج والتجار ، وفساد الممتلكات ، ونهب الخيرات ، وكان هذا يحدث على أرض الحرم وعند تأدية الفريضة ، مما يدل على غياب الأحكام الشرعية وتجاوزها من قبل أمير الحج المصري وأشراف مكة من أجل فرض السيطرة وترسيخ النفوذ السياسي في مكة.

النفوذ السياسي لأمير الحج المصري في مكة :

نظراً لتعدد أمراء الحج القادمين من مصر والشام والعراق واليمن فقد وجدت بينهم منافسة شديدة من أجل بسط النفوذ السياسي لدولهم التابعين لها ، وقد حصل أمير الحج المصري على نصيب الأسد في هذه المنافسات ، حيث وقف في

(١) هو : فيروز الخازنداري الرومي ، تربى مع الملك الناصر فرج من صغره فاختص به ، توفي سنة ٨١٤هـ (١٤١١م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ،٢ / ٥٢٣ ، النجوم ١٥ / ٥٠٦.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٥٢ – ٢٥٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٦٩ – ٤٧٢ ، دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٠٥هـ ، صـ٣٧ ، ٣٨ .

وجه أي تنافس خارجي من جهة العراق أو اليمن وحتى الشام التابعة لدولة المماليك . وظهر هذا جلياً في العديد من المواقف نذكر منها ، ما حدث مع الملك المجاهد الرسولي [1] ملك اليمن الذي حاول منافسة الدولة المملوكية في كسوة الكعبة . فيذكر أنه عندما حج ملك اليمن سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) أراد أن ينزع كسوة الكعبة المصرية ويكسوها من عنده باسمه ، فلما علم بذلك شريف مكة أخبر أمير الحج المصري بهذا الأمر ، ليس هذا فحسب بل إن ملك اليمن يريد أن يولي بمكة والياً من قبله ، ويترك له حامية يمنية لحمايته بعد مغادرة أمير الحج المصري ، فما كان من أمير الحج المصري إلاّ أن فكر في القبض على الملك المجاهد ، ودبر هذا الأمر مع شريف مكة عجلان ، فاغتنموا فرصة خلو مخيم الملك المجاهد من أتباعه وجنوده ، وأحاطوا بالمخيم فقاتل بعض أصحاب السلطان ، فأمرهم الملك المجاهد بالتوقف رعاية لحرمة الزمان والمكان ، فقبض عليه أمير الحج المصري وحمله معه إلى مصر [2] .

وتكررت محاولات ملوك اليمن من أجل الحصول على نفوذ سياسي لهم في مكة عن طريق كسوة الكعبة ، ولكن محاولتهم باءت بالفشل بسبب تصدي أمراء الحج المصري لهم ، ففي سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨م) قدم أمير الحج اليمني إلى مكة ومعه كسوة الكعبة ، فقام أمير الحج المصري بمنعه ومن معه من دخول مكة ، ولولا توسط شريف مكة أحمد بن عجلان [3] ، لما تمكنوا من دخل مكة وأداء

---

(١) هو : الملك المجاهد ابن المؤيد داود ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول ، تولى الحكم سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) حتى سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٢م) الفاسي : العقد الثمين ، ٦ / ١٥٨ ، ١٥٩ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ١٥٩ .

(٢) الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ٢ / ٢ ، المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق٢ ، صـ٨٣١ ، إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، ١ / ٢٨٣ .

(٣) هو : أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي ، ولي إمرة مكة شريكاً لأبيه ، ثم شريكاً لابنه محمد

المناسك [١] .فهذه الحوادث تبين لنا مدى نفوذ أمير الحج المصري ، وقضائه على أي محاولة للمساس بسيادة الدولة المملوكية على مكة ، والتي كانت كسوة الكعبة مظهراً لهذه السيادة .

ولم تكن اليمن وحدها الطامعة في الحصول على نفوذ سياسي لها في مكة بل هناك ملوك المغول في العراق [٢] ففي سنة ٨٧٧هـ (١٤٧٢م) منع أمير الحج المصري برسباي الأشرفي المحمل العراقي من دخول مكة ، وحتى لا يمكنهم من دخولها أمر أمير الحج الشامي أن ينزل بجميع حجاج الشام بين الحجونين [٣] ، ثم توجه أمير الحج المصري بعساكره ومعه شريف مكة محمد بن بركات إلى أمير الحج العراقي وقبضوا عليه ، كما قبضوا على دواداره ، وقيدوهما ،

كان بداية شراكته لأبيه سنة ٧٦٢هـ (١٣٦٠م) ثم انفرد بالإمرة سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ثم أشرك ابنه محمد معه سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٨م) ، كانت سيرته مشكورة في الرعية ، فكان كثير العدل مكرماً للتجار ، توفي سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) بمكة . الفاسي : العقد ،٣ /٥٥ .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٥٠ ، المقريزي ، مصدر سابق ، جـ٣ ، ق١ ، صـ٣٤٥ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٣٢ .

(٢) المغول : والتتار : قيل أنهم شيء واحد ومن الألفاظ المترادفة ، وقيل أن كلمة تتر كانت تطلق على جماعة معينة من المغول ، ثم عممت على المغول كلهم ، وأصل المغول من هضبة منغوليا في أواسط آسيا ، وقد كان للمغول في عصر المماليك دولتان : دولة بني هولاكو وتشمل بلاد العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر ، وكانت في عداء دائم مع المماليك ، ودولة بني جوجو بن جنكيز خان في الشمال وتعرف باسم القفجاق أو القبيلة الذهبية ، واتسمت علاقتهم مع المماليك بالود والصداقة بسبب دخولهم الإسلام . ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ، ١٩٥٨م ، صـ٣ ، محمد كرد علي : خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩م ، ٢ / ١٣٧ .

(٣) الحجون : جبل بأعلى مكة يوجد به مدافن أهلها . ياقوت : معجم البلدان ،٢ / ٢٢٥ ، البلادي : معالم مكة التاريخية والأثرية ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، صـ٨٠ .

ودخلوا بهما مكة على راحتين ، وحجوا بهما على هيئتهما ، وأما حجاج العراق فقد طلب منهم أمير الحج المصري ترك المحمل بسرف [١] والدخول إلى مكة لأداء المناسك ، وبعد انتهاء موسم الحج اصطحب أمير الحج المصري أمير الحج العراقي ودواداره والمحمل العراقي – بعد أخذ كسوته وزينته – إلي مصر [٢] .

وعندما أراد أمير الحج العراقي التقدم بمحمله على المحمل المصري سنة ٨٧٩هـ (١٤٧١م) تعرض لإهانة شديدة وضرب مبرح من جماعة المحملين المصري والشامي [٣] .

وتكرر نفس الموقف في سنة ٨٨٠هـ (١٤٧٥م) عندما منع أمير الحج المصري لاجين الظاهري [٤] أمير حج العراق من دخول مكة بمحمله، وطلب الأمير لاجين من أمير الحج العراقي أن يترك المحمل ببطن مَرَّ [٥] ولا يدخل به ، فترك المحمل ودخل مكة مع الحجاج ، ولم يتعرض لهم أحد بسوء ، وفي ليلة العيد أتوا

---

(١) سرف : واد متوسط الطول من أودية مكة ، يأخذ مياه ما حول الجعرانة – شمال شرقي مكة – ثم يتجه غرباً ، وهناك أعرس الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأم المؤمنين ميمونة – رضي الله عنها – وبها ماتت . البغدادي : مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ /١٩٩١م ، ٢ / ٧٠٨ ، البلادي : معالم مكة ، صـ٢٦٠ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٥٥٧ ، العصامي : سمط النجوم ،٤ / ٢٧٧ .

(٣) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٥٤٢ .

(٤) هو : الأمير لاجين الظاهري جقمق حسام الدين الزردكاش ، اشتراه استاذه جقمق ، ثم أصبح خاصكياً ثم أمير عشرة ، ثم صار في أيام السلطان الأشرف قايتباي أمير مجلس ، توفي سنة ٨٨٦هـ (١٤٨١م) . السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ٢٣٢ .

(٥) بطن مَرَّ : من نواحي مكة ، عنده يجتمع وادي النخلتين فيصيران وادياً واحداً ، وهو وادٍ خصيب كثير النخل . ياقوت : معجم البلدان ، ١ /٤٤٩ .

بالمحمل إلى منى ، وأقاموا به حتى رحيلهم [١] .

ومما يدل على قوة النفوذ السياسي لأمير الحج المصري ، أنه كان أحياناً يطلب من أمير الحج العراقي عدم دخول المحمل مكة ملبساً بثوبه وبزينته ، مثلما حدث في سنة ٨٨٦هـ (١٤٨١م) عندما اتفق أمير الحج المصري يشبك بن حيدر [٢] مع شريف مكة محمد بن بركات والأعيان على منع دخول المحمل العراقي ملبساً ثوبه ، ويكون أميره مع أمير الحج المصري حتى يذهب به معه إلى مصر ، وعندما قدم المحمل العراقي إلى وادي مرّ الظهران [٣] ، أرسل إليهم أمير الحج المصري أن لا يدخلوا مكة بمحملهم فتركوه وفي الثامن من ذي الحجة حُمل المحمل بلا ثياب ، ودخل به إلى المسجد الحرام ، ووضع عند باب أمير الحج المصري ، حتى انتهى موسم الحج ، فاصطحب أمير الحج المصري معه أمير المحمل العراقي إلى مصر [٤] . فنجد أن أمير الحج المصري وقف في وجه أي تنافس خارجي من جهة العراق يحاول أن يناوئ السلطة المملوكية في مكة خاصة وبلاد الحجاز عامة .

ولم يكن نفوذ أمير الحج المصري قاصراً على مواجهة الدول المنافسة لدولة المماليك ، وإنما واجه أي أمير حج آخر حتى وإن كان تابعاً للسلطنة المملوكية مثل أمير الحج الشامي، حيث تكررت حوادث القبض على أمير الحج الشامي من قبل أمير الحج المصري . ففي سنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) طلب أمير الحج المصري

---

(١) ابن فهد : مصدر سابق ، ٤ / ٥٩٤ .

(٢) هو : الأمير يشبك بن حيدر الوالي من مماليك الأشرف إينال ، تولى عدة وظائف . سنية منها ولاية القاهرة وأمير آخور ، ثم بقي مقدم ألف ثم نائب حماة ، توفي سنة= = ٨٩٩هـ (١٤٩٣م) . ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ٣٠٤ .

(٣) مرّ الظهران : وادٍ قرب مكة ، به عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة . ياقوت : معجم البلدان ، ٤ / ٦٣ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، ٢ / ٩٠٦ .

(٤) الجزيري : درر الفرائد ،٢ / ٧٥٨ ، ٧٥٩ .

شهاب الدين أحمد بن جمال الدين الاستادار من الشريف حسن بن عجلان أن يمكنه من القبض على أمير الحج الشامي ، فاحتال الشريف حسن عليه وسلمه إلى أمير الحج المصري [١] .

وتكررت هذه الحادثة في العام التالي ٨١٠هـ (١٤٠٧م) من أمير الحج المصري بيسق الشيخي ، الذي قبض على أمير الحج الشامي في مكة ، وحتى لا يصل خبر قبضه على أمير الحج الشامي إلى الامراء في دمشق ، فيقطعون عليه خط الرجعة ، تعجل في سيره ولم يمر بالحجاج على المدينة المنورة ، فهلك كثير من الحجاج [٢] .

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٥٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٥٣ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٤ ، ق١ ، صـ٦٨ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٥٩.

وفي سنة ٨١٢هـ (١٤٠٩م) سلّم أمير المدينة عجلان بن نعير [١] أمير الحج الشامي للأمير بيسق الشيخي ، ولم يتركه إلاّ بعد أن تشفع فيه الشريف حسن عجلان أمير مكة [٢] .

ومما سبق يتضح لنا أن النفوذ السياسي لأمير الحج المصري قد بلغ من القوة مبلغاً ، جعل أشراف مكة والمدينة يستجيبون لأوامره دون تأخير .

الدعاية السياسية في مكة :

كان خروج سلاطين المماليك وأبنائهم لأداء فريضة الحج – كأمراء للحج أو مصاحبين لأمير الحج – مناسبة تمثل أبرز ركائز السيادة الدينية على الحجاز عامة ومكة خاصة ، ينتهزونها لتذليل المشاكل المعيشية للسكان ، إضافة إلى الصدقات التي يبذلونها ، سعياً إلى تثبيت النفوذ السياسي على الحرمين . ففي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) خرج السلطان الظاهر بيبرس [٣] لأداء شعائر الحج ودخل مكة وغسل الكعبة ، وأحسن كثيراً إلى أميرها ، وتصدق بأموال كثيرة على

(١) هو : عجلان بن نعير بن هبة بن جماز بن منصور بن جماز بن شيحة أمير المدينة ، تولى المدينة من قبل أمير مكة سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) ، وعزل عنها ، ثم أعيد إليها مرة أخرى ،وقبض عليه وسجن في القلعة ، ثم أفرج عنه ، قتل سنة ٨٣٢هـ (١٤٢٨م) . السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، طبعة الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ٢ / ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٢) ابن فهد : ‘إحاف الورى ، ٣ / ٤٧٧ ، السخاوي : مصدر سابق ،٢ / ٢٥٥ .

(٣) أغفلت المصادر اسم أمير الحج المصري في سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) نظراً لقدوم السلطان الظاهر بيبرس إلى الحجاز في موسم الحج . ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، نشره عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ط١ ، ١٩٧٦م ، صـ٣٥٤ ، المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، صـ٥٨٠ ، العيني : عقد الجمان ، ٢ / ٤٦ ، ابن فهد : مصدر سابق ٣ / ٩٥ .

أهلها ، وأقام نائباً عنه في مكة ، وكان من نتائج زيارته هذه تشديد قبضته على بلاد الحجاز ، وعلى أمرائها ، وربط مكة والمدينة سياسياً واقتصادياً بمصر [١] .

وفي سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) أرسل السلطان كتبغا (٦٩٤ – ٦٩٦هـ/ ١٢٩٤ – ١٢٩٦م) [٢] ابنه أنص [٣] أميراً للحج ، وتكمن أهمية إرسال أنص أميراً للحج في أمرين : أولهما تبييت السلطان كتبغا النية على أن يجعل منه ولياً للعهد ، خاصة بعد أن نجح مع أعوانه في إقصاء السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٦م) . وثانيهما ما تركته هذه الحجة من آثار وانطباع على أهالي الحرمين الشريفين ، فقد تصدق على الفقراء والمساكين وعمت أعطياته أمير مكة وأهالي الحرمين ، فشكرت سيرته ، وكان هذا مقصده ، ولكنه لم يصبح سلطاناً ، فسرعان ما عزل والده وعاد السلطان الناصر محمد إلى السلطة [٤]

---

(١) ابن خلدون : العبر ، ٥ / ٣٨٨ ، الخزرجي : العقود اللؤلؤية ، ١ / ١١٠ ، المقريزي : الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء الملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، صـ٩١ ، ٩٢.

(٢) هو : زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري التركي ، أصله من سبى التتار ، أخذه المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه ، وجعله من جملة مماليكه ، ورقاه حتى صار من أكابر الأمراء ، ثم ولي نيابة السلطنة سنة ٦٩٣هـ (١٢٩٣م) ، ثم ولي السلطنة سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) ولقب بالملك العادل ، ثم خلعه نائبه لاجين سنة ٦٩٦هـ(١٢٩٦م) وأعطاه نيابة صرخد ، ثم نقله إلى نيابة حماة فمات بها سنة ٧٠٢هـ (١٣٠٢م) . بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ، ٩ / ٣٢٣ – ٣٣٤ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٤٨ – ٥٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ٢ / ١٢٧ .

(٣) هو : أنص أو أنس ابن السلطان العادل كتبغا ، ولد في مصر ، ونشأ بها ، شهد مع الملك الأشرف خليل حصار عكا فأصيبت إحدى عينيه ، لقبه أبوه بالمجاهد . المقريزي : المقفى ٢ / ٣٠٠ ، ابن حجر : الدرر ، ١ / ٤١٧ ، العيني : عقد الجمان ، ٣ / ٢٨١.

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٢٧٤، ابن تغري بردي : النجوم ، ٨ / ٥٧ .

.

أما السلطان الناصر محمد بن قلاوون فعندما حج سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) حج معه نحو خمسين أميراً ، وأكثر من فعل المعروف في الحرمين ، ثم قام بتصرف سياسي من أجل استقطاب أكبر عدد من المؤيدين له . وزيادة مناصريه ، وذلك عندما علم أن جماعة من التتار قدموا مع ركب الحج العراقي ، وأخفوا أنفسهم خوفاً من القبض عليهم ، فأمر الناصر محمد بإحضارهم فأتوا ، وأحسن إليهم وخلع عليهم الخلع السنية وأطلقهم [١] .

وكان آخر سلطان حج من المماليك السلطان الأشرف قايتباي المحمودي سنة ٨٨٤هـ (١٤٧٩م) ، وقد خرج أمير مكة الشريف محمد بن بركات وابنه والقضاة ، والأعيان وأهل مكة لاستقباله وأنعم عليهم جميعاً بالخلع ، الأمر الذي ترك أثراً سياسياً لدى أهل مكة وحكامها [٢] .

الاغتيالات [٣] السياسية في مكة :

إن الاغتيال كوسيلة للتخلص من الأعداء والخصوم والمنافسين أو حتى من يخشى منافسته في المستقبل ، ليست وليدة العصر المملوكي وإنما هي وسيلة

---

(١) المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ١٠٤ ، السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ١٩٨ ، ابن تغري بردي : النجوم ،٩ / ٦٠ ، عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٣٥ – ١٩٥٦م ، ١ / ٤٦١ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ /٦٥٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ٢ / ١٩١ ، ٩٢ .

(٣) الغيلة :بكسر الغين، لغة : هي الاغتيال يقال قتله غيلة أي خدعه فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه . واصطلاحاً : هي أن يخدع الجاني المجني عليه بأي وسيلة من وسائل الخداع ليقتله أو يأخذ ماله أو يهتك عرضه . الفيومي : المصباح المنير ، ٢ / ٤٥٧ ، حسن علي الشاذلي : الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون ، دار الكتاب الجامعي ، ط٢ ، (د .ت) ، صـ٣٢١ .

استخدمت منذ فجر التاريخ ، غير أن حدوث الاغتيال في موسم الحج يعتبر ظاهرة نادرة ، وقد حدثت في العصر المملوكي وكان لأمير الحج المصري دور فيها إما بالتنفيذ أو بالرأي . ففي سنة ٧٣٣هـ (١٣٣٢م) قام أمير الحج المصري الأمير برسبغا الحاجب [١] بقتل ياسور أحد أمراء المغول في بلاد العراق ، وذلك بإيعاز من السلطان أبي سعيد خربندا [٢] إلى سلطان مصر الناصر محمد بن قلاوون .والسبب في ذلك أن أبا سعيد خربندا كان يخشى من اجتماع المغول على ياسور وتوليته بلاد العراق ، فأرسل إلى السلطان الناصر محمد يعرفه بأمره ويخوفه من أن يجتمع عليه المغول ويسأله قتله ، فأرسل الناصر محمد كتاباً إلى أمير الحج برسبغا الحاجب يأمره بقتله ، ورفض أمير مكة الشريف رميثة المشاركة في قتل ياسور ، فاتفق برسبغا مع أحد العربان على قتله ووعده بالكثير من المال ، فعندما قارب ياسور من رمي الجمرات وثب عليه الأعرابي وضربه وهرب نحو الجبل فتبعه مماليك برسبغا وقتلوه أيضاً خشية أن يعترف على برسبغا ، فأضطرب حجاج العراق وأخذوا ياسور قتيلاً وساروا إلى برسبغا يخبرونه بما حدث فاستنكر هذا الأمر ، فلما رحل حجاج العراق أرسل برسبغا إلى السلطان الناصر محمد يبشره بمقتل ياسور [٣] .

---

(١) هو : برسبغا بن عبد الله الحاجب الناصري محمد بن قلاوون ، ولي الحجوبية في أيام استاذه الناصر محمد ثم زادت رتبته عند استاذه إلى أن أمسك به بعد موت الناصر وقتل سنة ٧٤٢هـ (١٣٤١م) بالإسكندرية . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٢ / ٧ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ١٨٧ .

(٢) هو : أبو سعيد خربندا بن أرغون بن بغا بن هولاكو ولد على رأس القرن الثامن الهجري تسلطن وهو شاب حكم العراق وخراسان واذربيجان والروم والجزيرة ، توفي سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) . ابن حجر : مصدر سابق ، ٢ / ١٣٧ ، ابن تغري بردي : مصدر سابق ،٢ /٨٢٨ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٣٦٧ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٠١ .

وفي سنة ٧٨٨هـ (١٣٨٦م) اغتيل الشريف محمد بن أحمد بن عجلان أمير مكة بتدبير من السلطة في مصر لمخالفته أوامرها في إطلاق بعض المسجونين من الأشراف ، فما كان من السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ – ٨٠١هـ / ١٣٩٠ – ١٣٩٨م) [١] إلا أن خدع الشريف محمد بن أحمد بن عجلان، بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة مع أمير الحج أقبغا الماردينى[٢] ، وأمر السلطان برقوق أمير الحج ألا يظهر حبه للشريف عنان –المرافق له في رحلة الحج والطامع في إمارة مكة – لكي لا يصل الخبر إلى الشريف محمد فيظل في مكة ينتظر وصول المحمل ، وعندما توجه الشريف محمد لاستقبال المحمل وأخذ يقبل خُف الجمل على العادات البدعية آنذاك ، هجم عليه

(١) هو : سيف الدين أبو سعيد برقوق بن أنص الجركسي ، ولد سنة ٧٤١هـ (١٣٤٠م) ، ثم أحضره الخواجا عثمان من بلاده ، وسمي برقوق لفتور كان بعينه ، ولا زال يترقى ، والأقدار تساعده إلى أن تسلطن سنة ٧٨٤هـ (١٣٨٢م) واستمر حتى سنة ٧٩١هـ (١٣٨٩م) ثم خلع لمدة عام ، وعاد بعد ذلك إلى الحكم واستمر حتى توفى سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) ، وخلف العديد من الآثار في مصر . ابن تغري بردي : مورد اللطافة،٢/١٠٩ – ١١٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور : جـ١ ، ق٢ ، صـ٣١٩ ، ٥٢٦ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٧ / ٦ ، ٧ .

(٢) هو : آقبغا الماردينى نائب الوجه القبلي ، وحاجب الحجاب ، قبض عليه وسجن لقبح سيرته وإسرافه في إراقة الدماء وأخذ الأموال بالباطل ، ثم أفرج عنه ، قتل سنة ٧٩٣هـ (١٣٩٠م) . المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق٢ ، صـ٧٣٤ – ٧٣٨ ، ابن تغري بردي: مورد اللطافة ،١ / ١٣٨ .

باطنيان [١] فقتلاه فما كان من أمير الحج المصري إلاّ أن أعلن ولاية الشريف عنان لمكة [٢] . وفي هذا دلالة واضحة على علمه باغتيال شريف مكة محمد بن أحمد بن عجلان .

(١) الباطنية : هي الإسماعيلية التي تنسب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق (١٣٨هـ / ٧٥٥م) وتعرف الباطنية أيضا بالحشيشية أو الملاحدة التي أساسها الحسن الصباح في إيران ، وأستولى على كثير من المدن والقلاع وكانت أهمها قلعة " الموت " التي صارت عاصمة للإسماعيلية ، ووضع الحسن الصباح لأتباعه نظاماً دقيقاً ، وجند فئة من أتباعه يتميزون بقوة أبدانهم وطاعتهم العمياء واشتهروا بتنفيذ الاغتيالات السياسية . علي محمد محمد الصلابي : المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار ، الأندلس الجديدة ، مصر ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ، صـ٤١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٣٠٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٥٥ – ٣٥٦ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ١٤٧ .

الفصل الثاني

دور أمراء الحج المصري في الحياة الاقتصادية في مكة

لقد اعتمدت مكة على مساعدات الحكومات التي قامت في مصر منذ صدر الإسلام لتزويدها بالغلال ، وقد كانت الحبوب تحمل إلى الحجاز من مصر كصدقات وصلات وجرايا رسمية مقررة للأشراف خاصة ، ولأهالي الحرمين الشريفين عامة ، بالإضافة إلى ريع أوقاف الحرمين الشريفين في مصر والتي تعد من الموارد المهمة للاقتصاد في بلاد الحجاز .وقد اعتاد سلاطين المماليك وأمراء الحج على تجهيز الأقوات إلى مكة ، وخصوصاً إذا أصاب مكة قحط أو ندرة في الطعام . وتمثل دور أمراء الحج المصري الاقتصادي في النشاط التجاري ، ومعالجة الأزمات الاقتصادية .

أولاً : دور أمراء الحج المصري في النشاط التجاري بمكة :

كان لأمراء الحج المصري دور مهم في النشاط التجاري الذي لعب الدور البارز كمصدر للثروة في مكة ،لاعتماد اقتصاد مكة علي التجارة القادمة مع التجار أو الحجاج ، لذلك كانت التجارة موضع اهتمام أمراء الحج .

١- الاهتمام بطرق الحج والتجارة :

تجدر الإشارة إلى أن طرق الحج هي نفسها طرق التجارة ، ذلك أن قوافل التجار كثيراً ما كانت تصحب قوافل الحجاج لما كانت تجده في كنفها من أمن وحماية .ويعد طريق القوافل البري من مصر إلى مكة من الطرق الرئيسة التي كان لها دور كبير في ازدهار الحركة التجارية ونشاطها ، لذا فقد اهتم به أمراء الحج خاصة بعد أن عاد استخدامه بعد توقفه بسبب الحروب الصليبية ، وكان أول أمير حج يسلكه في عصر سلاطين المماليك ، هو السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ

(١٢٦٨م) [١] فاستعاد الطريق أهميته وأصبح طريق الحج والتجارة ، واهتم الظاهر بيبرس بهذا الطريق لتسهيل الحج وتنشيط الحركة التجارية ، وأصلح المنشآت والمرافق فيه ،مما أدى إلى ازدهار التجارة بدرجة كبيرة [٢] .

وتوالى أمراء الحج المصري في الاهتمام بطرق الحج والتجارة فقاموا بإنشاء العديد من الخانات [٣] لراحة التجار على طول الطريق من مصر إلى مكة ، ففي سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) بنى أمير الحج المصري آل ملك الجوكندار [٤] خانا في محطة الأزلم [٥] يودع فيه التجار والحجاج بعض أزوادهم وعلف جمالهم وقد جعل

(١) ابن تغري بردي : النجوم ، ٧ / ٣٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، صـ ٣٣١ ، أحمد رمضان أحمد : شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٧م ، صـ٢٠٧ .

(٢) أمين محمود عبد الله : طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي ، مجلة الفيصل ، العدد ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٨هـ / نوفمبر ١٩٧٨م ، صـ٢٢ .

(٣) الخان : هو مبني ضخم يحتوي علي مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة، ومستودعات للبضائع ، ويتوسط الخان فناء ضخم علي هيئة رواق مغطي حيث يحفظ التجار بضائعهم ، ويجدون في الخان المأوي لهم ولدوابهم وبه مسجد ، فهو أشبه بفندق كان التجار يودعون فيه أمتعتهم ، وينزلون في الطابق العلوي . المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د . ت) ، ٢ / ٩٢ ، رينهات دوزي : تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمد سليم النعيمي ، وجمال الخياط ، وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ط١ ، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م ، ٤ / ٤٥٤ .

(٤) هو : سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ، اشتراه المنصور قلاوون عندما كان أميرا وأنعم به على ابنه ، وقيل قدمه لصهره الملك السعيد بركة خان ، وترقى آل ملك في الخدمة حتى صار من جملة الأمراء ، ثم تولى نيابة السلطنة في عهد الصالح إسماعيل ، فلما ولي الكامل شعبان السلطنة أخرجه إلى نيابة صفد ، ثم قبض عليه وقتله بالإسكندرية سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) . الصفدي : أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٨م ، ١ / ٦١٨ ، المقريزي : المقفى الكبير ، ٢ / ٢٩٤ .

(٥) الأزلم : تقع على طريق الحج المصري في منتصف الطريق بين القاهرة ومكة ، وهي جنوب

عليه من يحرسه ويحافظ على الأمانات نظير أجرة على ذلك [١] ، وبسبب ذلك كانت تقام في الأزلم سوق كبيرة يباع فيها الزاد والعليق والسلع المتنوعة وتزدهر هذه السوق خاصة في أثناء عودة الحجاج والتجار [٢].

كما أمر السلطان قانصوه الغوري سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م) أمير الحج المصري ببناء خان لحفظ الودائع وأبراج لحراسته عند العقبة في طريق الحجاج والتجار إلى مكة [٣].

هذا بالإضافة إلى ما قام به أمراء الحج من تمهيد للطرق الوعرة مثلما فعل السلطان الناصر محمد بن قلاوون عندما حج سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) حيث عمل على تمهيد الصخور وتوسعة الطريق بعد محطة نخل [٤] وانفق على ذلك مبلغاً كبيراً من المال [٥] ، ثم أصلحها السلطان الغوري سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م) حيث مهدها وقطع الأماكن الصعبة التي بها العراقيب [٦] .

شرق ضبا بنحو ٥٠كم . القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ / ٨٦ ، البلادي : معجم معالم الحجاز ، ١ / ٩١.

(١) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٥١ ، أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب ، ترجمة أحمد فؤاد متولي ، الصفصافي مرسي ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ،٢ / ٢٤٤ .

(٢) الجزيري : نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٣) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ١٣٣ .

(٤) نخل : منزل من منازل بني ثعلبة وهي موضع في طريق حجاج مصر ، وهي قرية ليس بها نخيل ولا شجر ، توجد الآن على الضفة الشرقية لوادي العريش تبعد عن السويس بمسافة ١٣٥كم . ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ٢٧٦ ، سيد عبد المجيد بكر : الملامح ، صـ١١١ ، أيوب باشا : مرآة جزيرة العرب ، ٢ / ٢٤٣ .

(٥) ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ٦٠ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور، ٤ / ١٥١ ، البتنوني : الرحلة الحجازية ، صـ٣٤ .

ومن مظاهر الاهتمام بطرق التجارة ما قام به أمراء الحج المصري من حفر للآبار على طول الطريق المؤدي إلى مكة ، والأمثلة على ذلك عديدة ، ففي عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون قام أمير الحج آل ملك الجوكندار بحفر آبار في نخل والأزلم من أجل توفير الماء العذب ، وعمل بركا وخصص لها من يديرونها بأجرة طوال السنة حتى تمتلئ بالمياه فيرتادها المسافرون في ذهابهم وإيابهم [١] .

وفي سنة ٨٣٤هـ (١٤٣٠م) أمر السلطان الأشرف برسباي (٨٢٥ – ٨٤١هـ / ١٤٢٢ – ١٤٣٨م) [٢] أمير الحج المصري بحفر بئرين بموضع يقال له زاعم وقبقاب [٣] على طريق الحج والقوافل التجارية [٤] .

وأخيراً كان من مظاهر الاهتمام بطرق التجارة تأمينها ، لأن أمان الطريق له دور عظيم في النشاط التجاري ، وكان جل اعتماد مكة على ما كان يأتيها من تجارة مع الحجاج وغيرهم ، وكان لأمراء الحج المصري دور عظيم في تأمين

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٧٢٣ ، أيوب صبري باشا : مرآة جزيرة العرب،٢/٢٤٤

(٢) هو : الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي بن عبد الله الدقماقي الظاهري الجركسي ، سبى من بلاده وجلب إلى مصر من قبل نائب ملطية مع هدية إلى الظاهر برقوق ، ثم اعتقه ، وتنقلت به الأيام إلى أن صار ساقياً ، ثم ولي نيابة طرابلس ، ثم أمير مائة ومقدم ألف ، ثم دوادارا كبيرا ، ولما تسلطن الأشرف سنة ٨٢٥هـ (١٤٢٢م) أخلع علي الأمراء ، وطالت أيامه وحسنت عمر المدرسة الأشرفية ، توفى سنة ٨٤١هـ (١٤٣٨م) . المقريزي : درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، حققه : محمود الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ١ / ٤٥٦ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ١٥١ .

(٣) زاعم وقبقاب : أحد الأودية القريبة من محطة الوجه إحدى محطات درب الحج المصري ، يقع في طريق الحج المصري ، استغني به الحجاج عن النزول في بمنطقة الوجه ، لان الوجه كان الحاج لا يجد به الماء وبهذه المنطقة ضمن الحجاج وجود الماء فعدلوا عن النزول بالوجه . الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، ٣ / ٢١٨ ، سيد بكر : الملامح الجغرافية ، صـ١٣٤ .

(٤) ابن تغري بردي : النجوم ، ١٤ / ٣٣٥ .

الطريق من اعتداءات العربان المتكررة طوال العصر المملوكي ، مثال ذلك ما حدث في سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م) عندما هجم بعض العرب من مجان [١] على بعض تجار الإسكندرية في منطقة الحريرا [٢] إلاّ أن الخبر وصل إلى أمير ينبع ، وأمير الحج المصري تنبك الجمالي المعلم [٣] فأدركهم ، وأخذ من العرب ما نهبوه ورده إلى أصحابه [٤] .

وفي سنة ٩٠٢هـ (١٤٩٦م) اشتد أذى العربان ، وبلغ بهم الأمر أن عاثوا في مكة فساداً ، وصادروا أموال بعض التجار ، فأرسل السلطان الغوري جيشاً صحبة أمير الحج تقاتل معهم وهزمهم [٥] ، وتكررت حوادث الاعتداء من قبل العربان في سنة ٩٠٧هـ (١٥٠١م) وسنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) وسنة ٩١٢هـ (١٥٠٦م) الأمر الذي دفع السلطان الغوري إلى القيام بسلسلة من التحصينات العسكرية على يد أمير الحج تمثلت في تجديد عمارة الخانات التي كانت من قبل بأماكن طرق الحج ، وتحصينها ببناء الأبراج بها [٦] .

ولم تكن الاعتداءات على التجار قاصرة على العربان ، بل كانت هناك

---

(١) مجان : هي مجني بطن من بشر من بني عمر بن مسروح بن حرب ، من نواحي عسفان . البلادي : معجم قبائل الحجاز ، مكة ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م ، صـ٤٦٧ .

(٢) الحريرا : هي موضع بين مكة والأبواء قرب نخلة ، وبها كانت الوقعة الرابعة من وقعة الفجار . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٢٥٠.

(٣) هو : تنبك الجمالي المعلم ، أمير الحج سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م) ، قبض عليه السلطان ، وحمل إلى القدس بطالا .ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ١٨ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٣٧١ ، ٣٧٢ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٧٤٩ ، ٧٥٠ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٤٨٢ .

(٦) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٨٩/٤ ، ١٥٥ .

اعتداءات من قبل بعض أشراف مكة ، كما حدث في سنة ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) عندما قطع الشريف عنان الطريق على جماعة من السرو وصلوا بقافلة شعير ، فمنعهم من الوصول إلى مكة حتى يدفعوا إليه نصف ما معهم ، ولكنهم عرضوا عليه أن يدفعوا له ربع ما معهم ، فرفض ثم عرضوا عليه الثلث فرفض ، فتحايلوا عليه إلى أن صاروا في مكان حصين بين الجبال فحاربوه ومن معه ولما وصل الخبر إلى أمير الحج المصري الأمير قرقماس [١] أرسل جماعة من أتباعه مع الشريف علي بن عجلان أمير مكة لإنقاذ تجار السرو فلما علم الشريف عنان بقدومهم هرب ، ودخل السرو في صحبه المماليك والشريف علي ، وباعوا ما معهم ورخصت الأسعار في مكة [٢] .

٢- المنشآت التجارية :

اهتم سلاطين المماليك وأمراء الحج المصري بالأسواق والمنشآت التجارية كالوكالات والخانات والقياسر [٣] التي تخدم حركة التجارة ، حيث كانت السلع تجلب إلى مكة ويتم بيعها في هذه المنشآت التجارية جملة أو تجزئة.

فالأسواق كانت تنصب عند منازل الحج المصري ابتداءً من بركة الحاج أول منازل الحج المصري ، ومروراً بأيله (العقبة) إلى الحجاز ، إذ كان يفد إلى أيله بعض حجاج جنوب الأردن وفلسطين ، ومصر وشمال أفريقيا والأندلس ، فكان يعقد

---

(١) هو : قرقماس القشتمري الخازندار السيفي يلبغا ، لقب سيف الدين ، تنقلت به الأحوال إلى أن صار خازندارا ، ثم صار أحد الأمراء مقدمي الألوف واستادار العالية ، توفى سنة ٧٩٢هـ (١٣٨٩م). ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين ، المطبعة الأمريكانية ، بيرو ت ، ١٩٣٦ – ١٩٤٢م ، ٩ / ٢٤٢ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٩/ ٢١ ، ٢٢ .

(٣) القياسر : مفردها قيسارية ، وهي الخان الكبير الذي يشغله التجار والمسافرون ، وقد يشتمل على سوق مسقوفة . مصطفى الخطيب : معجم المصطلحات ، صـ٣٥٧ .

لهم أسواق تجارية كبيرة ، وصلت في العصر المملوكي إلى ثمانين ألف راحلة من الجمال ، عدا الحيوانات الأخرى ، مما يدل على ضخامة تلك الأسواق [١] .

وكانت الأسواق في مكة لها طبيعة خاصة لأنها امتزجت فيها طبيعة المكان الدينية بتحركات اقتصادية دائمة متميزة بقوة اندفاعها وبتطورها المستمر فقد أخذت قوافل الحجاج تفد إلى مكة من كل حدب وصوب فكان طبيعياً أن تنشط الحركة التجارية في مكة ، فبعض الحجاج يلتمسون مع أداء فريضة الحج ضروباً من النفع المادي ، فينقلون المتاجر من شتى البلاد إلى الحجاز ويبيعونها هناك ويتزودون لبلادهم وأهلهم من طرائف الحجاز ، ومما يحمله إليه الناس من سائر البقاع [٢] .

وقد نالت أسواق مكة عظيم الاهتمام من قبل أمراء الحج المصري ، لدرجة أن أمير الحج المصري كان يأمر الحجاج بالبقاء بعد الموسم بناءً على رغبة التجار [٣] .

وهناك بعض الأسواق الحافلة التي كانت تنصب في بيت الله الحرام يباع فيها الدقيق والبر واللحم والسمن والفواكه ، وكان الساعون بين الصفا والمروة لا يكادون يخلصون لازدحام الناس على حوانيت الباعة [٤] ، الأمر الذي استنكره أمير

---

(١) عبد الله محمد بني حمد : الأسواق الشامية الموسمية على طريق الحج في العصر المملوكي ، مجلة العرب ، الرياض ، مجلد٣ ، جـ٤ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، صـ ٢٥٨ – ٢٦٠ .

(٢) محب الدين الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق : مصطفى السقا ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ، صـ٨ ، ٩ .

(٣) ابن حجر : إنباء الغمر بأنباء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ، ٣ / ٣٤١ ، الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ١٩٩ .

(٤) ابن جبير : رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك ، المعروفة برحلة ابن جبير ، دار الهلال ، بيروت ١٩٨١م ، صـ١٦٠ .

الحج المصري بيسق الشيخي فأمر سنة ٨٠٤هـ (١٤٠١م) بنقل هذه السوق من المسعى إلى سوق الليل ، كما أمر بوابي المسجد الحرام بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمامة ، ونقل الصخور والأحجار التي كانت بالسوق ، غير أن هذا العمل الاصلاحي لم يكتب له الدوام والاستمرار بسبب إعادة الشريف حسن بن عجلان لهذه السوق إلى المسعى في السنة نفسها بعد رحيل أمير الحج المصري (١) .

وفي سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) ورد مرسوم مع أمير الحج المصري بمنع البيع داخل المسجد الحرام ، ويبدو أن هذا المنع كان خاصاً بموسم الحج ، لاستمرار نشاط هذا السوق عقب الموسم (٢) .

وقد سجلت مكة نشاطاً تجارياً عالياً ، فالتجمع الإسلامي الكبير كان يصاحبه على الدوام حركة دائبة ونشطة في البيع والشراء ، غير أن بعض أمراء الحج كانوا يضايقون التجار بمنعهم من البيع حتى يبيعوا ما لديهم ، من بضائع الأمر الذي جعل " الجزيري " يتأسف على ما يقومون به من مزاحمة التجار ، وشحنهم المراكب بالأحمال للمتاجرة ، ومنع الباعة والمتسببة عن الحجاج حتى ينتهي ما عندهم ، مع العلم بأن ما يتاجرون به إنما يعود منافعه للسلطان وليس لهم (٣) .

وبسبب الاتساع الكبير في قطاع التجارة وفي ظل العلاقات التجارية النشطة في مكة انشئت القياسر والخانات فوقها المساكن المعدة للإيجار ، وتنوعت خدمة هذه المنشآت فإلى جانب قيامها بمهمة الأسواق من بيع وشراء ، فهي تقوم بمهمة

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٤ / ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، صـ٧٥٤ ، ابن حجر : إبناء الغمر ،٢ / ٢٨٢.

(٣) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٨٩ ، ٨٩٠

النزل ودور الإقامة للتجار الوافدين وتحتوي على مخازن لحفظ متاجرهم وأموالهم ، وتؤدي خدماتها للتجارة العابرة من تفريغ وتحميل وتخزين وغير ذلك ، كما أنها كانت تقوم بمهمة البيع بالجملة إلى جانب البيع بالتجزئة ، وعادة ما كان يبنى فوق هذه المؤسسات التجارية عدة مساكن تؤجر للتجار ، وكان من أبرز مظاهر الاهتمام بهذا النمط من المنشآت التجارية هو حرص سلاطين المماليك – عن طريق أمراء الحج – على توفير الحراسة والأمن فيها لحفظها من غبث العابثين خلال موسم الحج وترك حامية من المماليك لحمايتها عقب الموسم ، بالإضافة إل توفير وسائل السلامة واتخاذ الاحتياطات اللازمة لتجنب خطر الحرائق وغيرها [١] .

وكان لأمراء الحج المصري في مكة عدة حوانيت ووكالات للتجارة يعلوها عدة مساكن تؤجر بأجور شهرية زهيدة [٢] .

وتجدر الإشارة إلى أن ريع هذه المنشآت التجارية كان يوقف [٣] على بناء المرافق العامة التي يقيمها السلاطين وأمراء الحج في مكة . ففي سنة ٧٧٦ هـ (

---

(١) سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٣٠٧ ، نعيم زكي فهمي : طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، صـ ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٢) سعيد عاشور : العصر المماليكى ، ٣٠٧ ، ٣٠٨.

(٣) الوقف والوقوف في اللغة : الحبس والحبوس ، والموقوف عند الفقهاء هي العين المحبوسة إما علي ملك الواقف ، وإما علي ملك الله تعالي . ويقصد بالوقف : حفظ العقار من التبديد ، وأن يخصص دخله للمؤسسات الدينية أو الخيرية ، وهو ما يطلق عليه الوقف الخيري ، أو يخصص دخله لذرية مؤسس الوقف ، وفقا للأنصبة التي يحددها في وثيقة الوقف ، وهو ما يطلق عليه الوقف الأهلي . الفيومي : المصباح المنير ، ١ / ١١٨ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : حضارة الإسلام ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٤م ، صـ١٦٦ .

١٣٧٤م) أمر السلطان الأشرف شعبان (٧٦٤ – ٧٧٨ هـ/ ١٣٦٣ – ١٣٧٧م) [١] أمير الحج المصري بعمارة مطهرة [٢] في المسعى وبناء حوانيت ملاصقة لها وفوقها لتأجيرها للتجار على أن يكون ريعها وقفاً للإشراف على المطهرة المنسوبة إليه ، كما أوقف عليها أوقافاً أخرى بضواحي القاهرة [٣] .

وفي سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) قام الأمير بركة [٤] ببناء ربع وحوانيت جديدة ، وبناء مطهرة بقرب باب بني شيبة (أحد أبواب المسجد الحرام) وأوقف عليها ريع الربع والحوانيت [٥] .

وعندما حج السلطان قايتباي سنة ٨٨٤هـ (١٤٧٩م) عمّر عدد من الرباع والدور التي كانت تدر في كل عام نحو ألفي دينار ، أوقفها على الفقراء ، وأعمال البر التي أنشأها بمكة [٦] .

---

(١) هو : السلطان الأشرف أبو المفاخر أو أبو المعالي زين الدين شعبان ابن الملك الأمجد حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون تسلطن سنة ٧٦٤هـ (١٣٦٣م) ، كان عارفاً عاقلاً حسنت أيامه حتى صار يضرب بأيامه المثل ، ثم ثار عليه المماليك وقتلوه سنة ٧٧٨هـ (١٣٧٧م). المقريزي : درر العقود الفريد ، ٢ / ١٢٣ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٩٨ – ١٠٣.

(٢) مطهرة : جمعها مطاهر ، وهي مكان التطهر من النجاسة وتجديد الوضوء ، فالمطهرة هي الميضأة . ابن منظور : لسان العرب ، ١ / ١٩٥.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ١ / ٣٧٢ .

(٤) هو : الأمير بركة بن عبد الله العثماني من مماليك الأمير يلبغا الخاصكي تولى عدداً من المناصب حتى أصبح مدبر المملكة وعظم أمره حتى صار رأس نوبة النواب ، له العديد من المآثر والاصلاحات في المسجد الحرام ، توفى سنة ٧٨٢هـ (١٣٨٠م) . ابن حجر : إنباء الغمر ، ١ / ٢٢٢ .

(٥) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، صـ٣٧٢ .

(٦) الطبري : إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد

ولا شك أن إقامة مثل هذه المشروعات قد ساعد ت في تنظيم الحركة التجارية وازدهارها في مكة .

٣- إلغاء المكوس [١] :

نظراً لأرباح التجارة ، وتوافد الحجاج إلى مكة ، وحاجة حكام مكة من الأشراف لمورد مالي يفي بمطالب الحرمين ، وبمطالب الحكم ، فضلاً عن مطالبهم الخاصة ، فقد فرض أمير مكة المكوس على التجارة والحجاج في مكة المشرفة وفي جدة التي كانت تابعة له ، والتي زادت أهميتها بسبب النشاط التجاري بها ، وازدياد وفود الحجاج والتجار إليها من المغرب والأندلس واليمن والحبشة والهند [٢] .

وينفرد أمير مكة بأخذ مكس الحاج ومقداره سبعة دنانير مصرية ونصف عن كل حاج [٣] ، وكان صلاح الدين الأيوبي أول من ألغى هذا المكس ، وعوض أمير مكة عن ذلك بألفي دينار ، وألف إردب قمح واقطاعات [٤] بصعيد مصر وجهة

المخطوطات العربية ، رقم ٨٧٠ تاريخ ، ورقة ٨٢ ، ٨٣ .

(١) المكوس : جمع مكس ، ومعناها في اللغة الضريبة التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق أيام الجاهلية ، كما تطلق على ما يأخذه المعشار ، ويقال له الماكس ، وتطلق أيضاً على ضريبة المرور. دوزي : تكملة المعاجم ، ٥ / ١٥٣ ، المعجم الوسيط ، ٢ / ٨٨١ .

(٢) حسنين محمد ربيع : البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ البحر الأحمر بجامعة عين شمس ١٩٧٩م ، صـ٢٠ .

(٣) ابن جبير : الرحلة ، صـ٢٨ ، ٢٩ .

(٤) الإقطاع : من أقطعته قطيعة ، أي طائفة من الأرض ، والإقطاع : مؤداه أن يمنح الأمير إقطاعا يتعيش من ريعه ، فهو بمثابة الدخل الثابت للأمير من أجل تجهيز نفسه ومماليكه وقت الحرب ، وكانت الاقطاعات هي المصدر الأساسي للنفقة على الجيش ، وكانت القرية هي وحدة التوزيع الإقطاعي حيث بلغ متوسط إقطاع الأمير ما بين قرية وعشر قرى . الفيومي : المصباح المنير ، ٢ / ٥٠٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٥٣ ، .

اليمن [١] .

وكان الإبطاء في إرسال التعويضات لأمير مكة يؤدي إلى عودته إلى ترويع الحجاج والتعسف في أخذ المكوس ، لذلك عاد المكس بعد وفاة السلطان صلاح الدين بسبب إهمال خلفائه إرسال ما التزم به لأمير مكة [٢] .

وعندما حج السلطان الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) طلب من شريف مكة إلغاء جميع ما كان يأخذه من الحجاج القادمين من مصر والشام تاجرهم وغنيهم وفقيرهم [٣] .

وعندما علم السلطان المنصور قلاوون أن الشريف أبانمي اشتد على الحجاج في الجباية ، فكان يأخذ من حاج اليمن على كل جمل مبلغ ثلاثين درهماً ، ومن حاج مصر على كل جمل خمسين درهماً مع كثرة النهب والتعسف في جباية المكوس ، فاشتد غضب السلطان قلاوون ، وأرسل مع أمير الحج المصري علم الدين سنجر الباشقردي سنة ٦٨٣هـ (١٢٨٤م) ثلاثمائة فارس وأنفق في كل فارس ثلاثمائة درهم ، فتوجهوا إلى مكة ولم يستطيعوا دخولها لمنع أمير مكة لهم ، فنقب الحجاج سور المعلاة [٤] ، ودخلوا مكة عنوة ، وأحرقوا باب المعلاة [٥] .

وفي سنة ٧٠٥هـ (١٣٠٥م) عاد النهب والسلب من قبل الشريفين

---

(١) ابن جبير : الرحلة ، صـ٥٥ ، ابن خلدون : العبر ، ١ / ٢٣٤ .

(٢) ابن جبير : مصدر سابق ، صـ٥٤ ، المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق١ ، صـ٣٣٢.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٩٧ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، دحلان : خلاصة الكلام ، صـ٢٧ ، ٢٨ .

(٤) المعلاة : موضع بين مكة وبدر، وهي الآن مقبرة أهل مكة ، ياقوت : معجم البلدان ، ٥ / ١٥٨ ، البغدادي : مراصد الاصلاح ، ٣ / ١٢٩ .

(٥) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ١٢٠ .

رميثة وحميضة أميري مكة حتى تضايق الحجاج والتجار منهما ، مما أوغر صدر الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فعزم على الحج سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م) فخرج من مصر على رأس مائة فارس ، وستة آلاف مملوك ، فدخل مكة ، وطرد رميثة وحميضة وأبطل المكوس ، كما أبطل أيضاً سائر المكوس عندما حج سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) وعوض أميري مكة والمدينة بدلاً منها إقطاعات في مصر والشام [١] .

وفي سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) لم يقنع أمير مكة الشريف عطيفة بما كانت ترسله الدولة من تعويضات مع أمير الحج ، فاشتد في جمع المكوس من الحجاج والتجار ، فتدخل أمير الحج ووقعت فتنة بينه وبين أمير مكة ، فأرسل السلطان الناصر محمد مرسوماً بتخفيف المكس ، وجعله على السلع للتاجر والحاج ويعفى منها الأشخاص ، وعوض أمير مكة الشريف عطيفة بثلثي قرية " دمامين " [٢] بصعيد مصر ، وألفي إردب قمح تحمل له سنوياً من مصر [٣] .

وفي سنة ٧٦٦هـ (١٣٦٤م) أسقط السلطان الأشرف شعبان ما كان يجبى على الأطعمة والأقوات في مكة من مكوس ، وعلى ما كان يجبى من الحجاج من مكوس على ما يحملونه معهم من سلع وبضائع ، خلا مكس تجار الكارم [٤] ، والهند ، والعراق ، وعوض أمير مكة بثمانية وستين ألف درهم من بيت المال

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٣ ، المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ١١٩ – ١٢٢ ، ١٩٧ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ٥٩ .

(٢) دمامين : قرية كبيرة بالصعيد ، شرقي النيل على شاطئه فوق قوص ، عليها بساتين ونخل كثير . ياقوت : معجم البلدان ، ٣ / ١٦٥ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٣٦ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، ١ / ١٩٩ .

(٤) تجار الكارم : فئة من التجار كانت بيدهم تجارة البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند ، وكان معظمهم من بلاد الكانم الإسلامية الواقعة بالسودان الغربي ، فنسبوا إلى أصلهم الجغرافي بعد تحريف كلمة الكانم إلى كارم . صبحي لبيب : التجارة الكارمية ، تجارة مصر في العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٤ ، مايو ١٩٩٤م ، صـ٦.

وألف إردب قمح سنوياً [١] .

وفي سنة ٧٨٠هـ (١٣٧٩م) أبطل الأمير يلبغا العمري [٢] مكس الحجاج من مكة ، وعوض أمير مكة عن ذلك في كل سنة مائة وسبعين ألف درهم [٣] .

وأما في سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) فقد أصبحت مكة دار مكس خاصة عندما نادي أمير الحج يوم عرفة : يا معشر الناس من اشترى بضاعة وسار بها إلى غير القاهرة حل دمه وماله للسلطان ، فأخذ التجار القادمون من جميع الأقطار يسافرون مع الركب المصري لتؤخذ منهم مكوس بضائعهم [٤] .

وفي سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م) وصل مرسوم مع أمير الحج شادي الجكمي [٥] أن لا يؤخذ على التجار الوافدين إلى جدة سوى العشر ، ويبطل ما دون ذلك [٦]

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٥٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، صـ١٧ ، الطبري: إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٣٩ .

(٢) هو : الأمير سيف الدين يلبغا بن عبد الله السالمي الظاهري ، كان من مماليك الظاهر برقوق ، تولى العديد من الوظائف منها : الاستادارية الكبرى والوزارة ، وكان يجب العلماء والفضلاء ، مات مقتولاً سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) . المقريزي : درر العقود ، ٣ / ٥٤٣ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، ٦ / ١٣٣ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ١٣ / ١٧١ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، صـ٣٤٣ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ صـ٢٣٤ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٥٨١ ، السليمان : العلاقات ، صـ١٦٥ .

(٥) هو : شادي بك الجكمي أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية ، ثم نائب حماة ، أصله من مماليك جكم نائب حلب ، اتصل بخدمة الأمير ططر ، فلما تسلطن رقاه حتى صار أمير طبلخانة ، وثاني أمير نوبة ، ثم نائب الرها ، ثم عزل ، وأنعم عليه جقمق بإمرة مائة ، وتقدمة ألف ، توفى سنة ٨٥٤هـ (١٤٥٠م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ٢٨٩ .

(١) .

وفي سنة ٨٧٢هـ (١٤٦٧م) أرسل السلطان الأشرف قايتباي خلعة لأمير مكة الشريف محمد بن بركات ، ومرسوماً مع أمير الحج بإبطال جميع المكوس والمظالم ، وطلب منه نفش المرسوم على اسطوانة بباب السلام بالمسجد الحرام (٢) .

هكذا كان سلاطين المماليك وأمراء الحج المصري يعملون على حماية اقتصاد مكة من الرسوم غير الشرعية ، والتي كانت تؤثر على التجارة في مكة ، هذا بالإضافة إلى تأثيرها على السكان وخاصة أولئك الذين يقاسون من الفقر والجوع والحاجة إلى المال والطعام والمأوى ، لأن فرض المكوس كان يترتب عليه ارتفاع الأسعار ، وفي المقابل كانت السلطة المملوكية تعوض أشراف مكة بالمال والإقطاعات الواسعة ذات الأراضي الزراعية الخصبة في مصر والشام .

ثانياً : دور أمراء الحج المصري في الأزمات الاقتصادية في مكة :

١- أسباب الأزمات الاقتصادية في مكة :

إن حدوث الأزمات الاقتصادية في مكة أمر متوقع في ذلك العصر ، على الرغم من تدفق وتعدد الموارد إلى مكة ، من أوقاف وصدقات وأعطيات ؛ لأن هذه الموارد غير ثابتة ، لأنها مرتبطة بالغير ، لذلك فهي عرضة لعوادي الزمان والإنسان ، ويتضح من البحث في أسباب الأزمات الاقتصادية التي وقعت في مكة أنها ترجع إلى عاملين : طبيعي وبشري .

ويتمثل العامل الطبيعي : في قلة سقوط الأمطار ، وفي الأوبئة والمجاعات

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٤ ، ق٣ ، صـ١١٩٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى ،٤ / ١١٠ ، ١١١.

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، صـ٣٧٠ ، العصامي : سمط النجوم ، ٤ / ٤٣ ، الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ١٢٤ .

والكوارث ، والأمثلة على ذلك عديدة منها : ما حدث في سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) بسبب عدم سقوط الأمطار بمكة ، فعم الغلاء جميع الأصناف من الحب والسمن ، واللحم ، وبلغ سعر إردب القمح مائتين وأربعين درهماً ، والسمن كل أوقية [١] بخمسة دراهم ، وكذلك اللحم [٢] . وأدت قلة الأمطار في سنة ٧٦٦هـ (١٣٦٤م) ، إلي ارتفاع الأسعارً حتى إن غرارة [٣] الحنطة بلغت ستمائة درهم، والذرة أربعمائة درهم ، وعدم الحب ولم يتواجد منه شيء ، وكذلك التمر ، وعرفت هذه السنة عند المكيين بسنة أم جرب لأن المواشي عمها الجرب [٤].

ويذكر " الفاسي" أن أعظم غلاء شاهده بمكة كان سنة ٧٩٣هـ (١٣٩٠م) فقد بيعت غرارة الحنطة بخمسمائة وأربعين درهماً كاملية [٥] ، وأكل الناس سائر الحبوب واختبزوها ، وجاء هذا الغلاء مصحوباً بانتشار الوباء الذي

(١) الأوقية : من الموازين ، وتساوي سبعة مثاقيل شرعية ، والأوقية المكية رطلان ونصف رطل مصري ، والأوقية الشامية تساوي خمسين درهماً .المقريزي : شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق : محمد السيد علي ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م ، صـ٩٤ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٤٣٥ ، العيني : عقد الجمان ، ٣ / ٥٧٢ .

(٣) غرارة : مفردها غرائر ، وهي كيس من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب ، وجوالق كبيرة توضع فيها الحبوب والدقيق ، وأنها تتخذ من نصف تِلِّيس . أحمد مختار عبد الحميد عمر : معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م ، ٢ / ١٦٠٥ ، دوزي : تكملة المعاجم ، ٧ / ٣٨٩ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٧٤ ، العقد الثمين ، ١ / ٢٠٩ ، المقريزي : السلوك : جـ٣ ، ق١ ، صـ٩٧ .

(٥) الدراهم الكاملية : تنسب إلى السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي ، وتعرف الدراهم الكاملية بالدراهم النقرة ، وهو يتكون من ثلثي فضة وثلث نحاس . القلقشندى : صبح الأعشى ، ٣ / ٤٣٩ ، ٤ / ٢٧٥ .

راح ضحيته كثير من الناس[١] .

وانتشر الوباء في مكة وأوديتها سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) واشتد حتى بلغ عدد من يموت في اليوم خمسين ما بين رجل وامرأة [٢] .

ومن الأزمات الاقتصادية ما كان يحدث بسبب الحوادث والكوارث التي تصيب التجار، والتي كثيراً ما يتعرضون لها وخاصة فيما يتعلق بالسلع الآتية عن طريق البحر حيث الشعاب المرجانية التي قد تتسبب في إغراق كثير من المراكب العابرة فيها، مثلما حدث سنة ٧٩٤هـ (١٣٩١م) عندما انكسر عند جدة ما يقرب من ستة وثلاثين مركباً كانت تحمل المتاجر من اليمن [٣] .

وأما العامل البشري المتسبب في حدوث الأزمات فيرجع إلى الصراع بين الأشراف في مكة ، ومهاجمة العربان ، وغيرها . ففي موسم حج سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٨م) وقعت منازعات واضطرابات بين أمير الحج المصري ، وعبيد شريف مكة ، وبسببها انتهز العبيد الفرصة ، ونهبوا أموال التجار [٤] .

وفي سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) توجه الشريف عجلان إلى اليمن ، ومنع السفن القادمة من الوصول إلى مكة ، وحدث بسبب ذلك غلاء عظيم ، وقل وجود السلع على مختلف أنواعها في أسواق مكة ، وبيعت الأوقية من الدقيق بخمسين درهماً ، والإردب من القمح بمائتي درهم [٥] .

وكان تدهور الأوضاع الداخلية وتفاقمها بسبب جور الأشراف وظلمهم وكثرة

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٧٤ ، العقد الثمين ، ١ / ٢١٠ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم ، ١٥ / ٤٢ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٦ / ٢١٠ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٤ .

(٥) ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، صـ ٢٢٧ ، العصامي : سمط النجوم ، ٤ / ٢٢٥ ، الطبري : إتحاف فضلاء الزمن ، ورقة ٥١ .

الفتن حتى اضطر الناس والتجار إلى الفرار بأنفسهم وأموالهم من مكة سبباً في الأزمات الاقتصادية التي استمرت منذ سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) حتى سنة ٧٦٠هـ (١٣٥٨م) ، هذا بالإضافة إلى المقاطعة الاقتصادية التي فرضها صاحب اليمن للانتقام من أشراف مكة [١].

وأخيراً ما كانت تقوم به البرتغال من أعمال القرصنة ضد السفن التجارية العربية بهدف القضاء على تجارة المسلمين التي كانت جدة مركزاً لها [٢] .

٢- دور أمراء الحج المصري في الأزمات الاقتصادية :

لم يقف أمراء الحج المصري مكتوفي الأيدي أمام الأزمات التي أصابت مكة طوال عصر سلاطين المماليك ، فقد كان لهم جهود عظيمة في حلها وتخفيف حدتها عن كاهل أهالي مكة ، وتمثل دور أمراء الحج في تعاملهم مع هذه الأزمات في أمرين : أولهما على المستوى الرسمي ، بما كان يحملونه أو يقدمونه من غلال بأمر السلاطين ، وثانيهما ما كانوا يقومون به على المستوى الشخصي من توزيع الصدقات على أهالي مكة ، وإن كانت هذه الصدقات عمل ديني يبتغون به وجه الله سبحانه وتعالى إلاّ أنها كانت تساعد في سد احتياجات أهل مكة ، ولذا كان ورودها أو انقطاعها له تأثير غير قليل على اقتصاد مكة وسكانها .

ومن الأمثلة على ذلك ما وقع في بعض السنوات من تدفق المساعدات العينية والمالية من قبل سلاطين المماليك وأمراء الحج المصري .ففي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) توجه السلطان الظاهر بيبرس إلى مكة أميراً على الحج المصري وعندما وصل هناك أعطى خواصه جملة من الأموال ليقوموا بتوزيعها على كل منزل

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٨٦٦ .

(٢) محمد عبد العال أحمد : البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، الإسكندرية ١٩٨٠م ، صـ٧٩.

، كما أعطى أمراء ينبع ، وخليص [١] ، ومكة مالاً وغلالاً ، ووعدهم بإرسال المال والغلال سنوياً [٢] .

وعندما أصاب مكة القحط سنة ٦٨٥هـ (١٢٨٦م) وصل أمير الحج سيف الدين بلبان [٣]إلى مكة ومعه مائة جمل من جمال السبيل من قبل السلطان المنصور قلاوون وزعها علي الفقراء والمنقطعين وأبناء السبيل فانحطت الأسعار [٤] .

وفي سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م) جهز أمير الحج بكتمر الجوكندار [٥] مراكب عديدة في البحر الأحمر وشحنها بالغلال والدقيق ، والأطعمة والأعسال والحلويات والسكر ، وغير ذلك ، وأعطى شريف مكة وأولاده ألف درهم [٦] .

---

(١) خليص : حصن بين مكة والمدينة ، بها كثير من نخيل ، وفواكه ، وخضار ، ومياه جارية وكان بها قلعة منيعة على ربوة مرتفعة . ياقوت : معجم البلدان ، ٢ / ٣٨٧ ، البغدادي : مراصد الاطلاع ، ١ / ٤٧٩ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٠ ، المقريزي : السلوك : جـ١ ، ق٢ ، صـ٥٨١ ، ٥٨٢ ، الرشيدي : حسن الصفا ، صـ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) هو : سيف الدين بلبان الشمسي ، كان من مماليك المنصور قلاوون ، ثم تنقل إلى أن صار أمير الحج ، ثم أخرجه الناصر إلى إمرة دمشق ، ثم إلى حلب ، وبها مات سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) . ابن حجر : الدرر ، ٢ / ٣٠ ، ٣١ .

(٤) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، صـ١٤٥.

(٥) هو : بكتمر بن عبد الله الجوكندار كان أميراً كبيراً ضخماً ، أمسكه الملك الناصر محمد بن قلاوون في عام ٧١١هـ (١٣١١م) ونقل إلى الكرك ، ويقال إنه قتل فيها سنة ٧١٦هـ (١٣١٦م) . المقريزي : المقفى الكبير ، ٢ / ٤٥٩ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ١ / ٤٨٤ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ١٩٤ .

(٦) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٩١٧ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٣٢ .

وأما الأمير سلار [١] نائب السلطنة [٢] بالديار المصرية ، فقد كان له دور عظيم في الأزمات الاقتصادية ، فعندما حج سنة ٧٠٣هـ (١٣٠٣م) طلب من باشريه [٣] أن يجهزوا له غلالاً كثيرة حملها في المراكب ، تقدر بعشرة آلاف إردب قمح ، فرقها على أهالي الحرمين (مكة والمدينة) ، هذا بالإضافة إلى ما حمله إلى مكة من الذهب والفضة ، وأرسل مباشريه إلى جدة والمدينة ، وفعلوا بهما مثل ما فعلوه في مكة من أعمال الخير ، كما نالت أعطياته جميع الأمراء حتى من حجوا معه [٤] .

وفي سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حجته الثانية ، وكان قد علم بما تعانيه مكة من قحط ، فأمر بتجهيز ركب الحج بكل ما يحتاج إليه السلطان طول فترة الحج ، وشحن المراكب بمائة وثلاثين ألف

---

(١) هو : سيف الدين سلار بن عبد الله المنصوري ، اشتراه السلطان قلاوون وأعطاه لابنه الصالح علي ، ولما مات رجع سلار إلى الملك المنصور قلاوون ثانياً ، وصار من الأعيان ثم ترقي في دولة الناصر محمد وصار نائب السلطنة ، ثم ولاه الشوبك ، وكان قليل الظلم ، كبير العقل ، ذا دهاء وخبرة ، مات سنة ٧١٠هـ (١٣١٠م) . الصفدي : أعيان العصر ٢ / ٤٨٩ ، ابن حجر : الدرر ، ٢ / ١٠٦ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٦ / ٥ .

(٢) نائب السلطنة : ويعرف أيضاً بكافل السلطنة بالمملكة الشامية ، ويضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكاتبة ، وقد قسمت الدولة المملوكية إلى عدة ممالك أو نيابات ، وكان الذين يعينون فيها يعرفون بنواب السلطنة . القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ / ١٨٤ ، الباشا : الفنون ، ٢ / ٩٣٣ ، ٩٤٠ ، البلقي : التعريف صـ٢٨٣ . ٣٤٤

(٣) مباشر : وجمعه مباشرون ، وهم الموظفون الإداريون . سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٥٢ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٢ ، المقريزي : السلوك : جـ٢ ، ق١ ، صـ٥ ، ابن تغري تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٩ / ٢٠ .

إردب قمح ، فضلاً عن خمسمائة جمل تحمل الفواكه والحلوى ، فأغدق أعطياته وهباته على أهل مكة وغيرهم ، كما تصدق على أهل الحرمين بعشرين ألف دينار فأدى ذلك إلى انخفاض الأسعار (١) .

ولم تتوقف جهود السلطان الناصر محمد في إغاثة أهل مكة ، فعندما وصل شريف مكة عطيفة إلى مصر سنة ٧٢٢هـ (١٣٢٢م) وأخبر الناصر محمد بما أصاب مكة من جدب وقحط وانعدام الأقوات وتزايد الغلاء ، أمر السلطان الناصر بإرسال ألفي إردب قمح إلى مكة مع أمير الحج ، كما أرسل نائب السلطنة أمير الحج آل ملك الجوكندار ألف إردب قمح أخرى ، فلما وصلت إلى مكة ووزعت انفرجت الأزمة وانخفضت الأسعار (٢) .

ولم تتوقف مساندة أمراء الحج المصري لأهل مكة وأشرافها في وقت الأزمات ففي سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٨م) قام أمير الحج سيف الدين بشتاك الناصري (٣) يصحبه عدد من الأمراء بتوزيع الأطعمة على الفقراء والمنقطعين ، ووزع عليهم الأموال ، كما أعطى لكل أمير من أمراء الطبلخانات (٤) عندما وصل إلى مكة

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٤ ، المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ١٠١ – ١٠٤ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ٥٨ ، ٦٠ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٢٣٨ ، حياة ناصر الحجي : السلطان الناصر ونظام الوقف في عهده ، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م ، صـ٤٠ .

(٣) هو : بشتاك بن عبد الله الناصري ، أحد أمراء السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، قربه إليه ، وأنعم عليه عند سفره إلى الحجاز بمائتي ألف درهم ، وكان كثير التيه بنفسه ، توفى مقتولاً بسجن الإسكندرية سنة ٧٤٢هـ (١٣٤١م) . الصفدي : أعيان العصر ، ١ / ٦٩٠ ، المقريزي : المقفى ، ٢ / ٤٢٣ – ٤٢٧ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ١٩١ .

(٤) أمير طبلخانة : الطبلخانة معناها الطبل ويشمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات ، وسمي صاحبها أمير طبلخانة لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين ، ويطلق على أمير طبلخانة أيضاً أمير أربعين أي يكون في خدمته أربعون مملوكاً . القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ / ١٣ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٠٠ .

خمسمائة دينار ، وكلا من الأمراء المقدمين [١] ألف دينار وكان جملة ما أنفقه يقدر بثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم ، غير المراكب المشحونة بالغلال [٢] .

ولما اشتد الغلاء بمكة سنة ٧٦٦هـ (١٣٦٤م) وتوقفت حال السوق واقفرت مكة من سكانها بسبب هلاك أكثرهم جوعاً ونزوح الكثيرين عنها ، قام الأمير يلبغا الخاصكي [٣] بإرسال القمح إلى مكة براً وبحراً فوصل ألفا إردب قسمت على الأهالي ثم توالى إرسال المؤن في البحر حتى بلغ مجمل ما حمل إلى مكة اثني عشر ألف إردب ، فعم النفع وفرج على الناس وانتعشت أحوالهم [٤] .

وفي الأزمة التي حدثت سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) جهّز أمير الحج جركسي الخليلي [٥] كثيراً من القمح إلى مكة ليعمل كل يوم خبزاً بحوالي خمسمائة رغيف ، ويفرق على الفقراء ، فعم النفع جميع الناس [٦] .

---

(١) الأمراء المقدمون : هم رؤساء ومقدمو الألوف ، تولوا الوظائف الكبرى في الدولة ، بلغ عددهم أربعة وعشرين في عصر المماليك . الباشا : الفنون ، ٣ / ٤٥٠ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢١٧ .

(٣) هو : يلبغا العمري الخاصكي الأتابكي أستاذ الملك الظاهر برقوق ، وأصله من مماليك الناصر حسن ، وهو الذي قتل استاذه الناصر حسن فقتله مماليكه سنة ٧٦٨هـ(١٣٦٦م) أبو المحاسن : الدليل الشافي ، ٢ / ٧٩٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٦ / ٢١٢ ،٢١٣ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ٢٠٩ ، المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، صـ٩٧ .

(٥) هو : جركس بن عبد الله الخليلي ، تركماني الأصل ، وأصله من مماليك يلبغا الخاصكي ، وتقدم عند الظاهر برقوق ، كان حسن الشكل مهيباً مع رأي رصين وعظمة ، توفى سنة ٧٩١هـ (١٣٨٨م) . ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٩ / ١٧٢ ، ابن حجر : إنباء الغمر ١ / ٣٨٥ .

(٦) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٤٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، صـ٣٦٦ .

وفي عهد السلطان الظاهر برقوق حدثت أزمة طاحنة في مكة فقلت الأقوات وارتفعت الأسعار ، فقام أمير الحج المصري سنقر الجمالي [١] في سنة ٧٩٣هـ (١٣٩٠م) بحمل ثلاثة آلاف إردب قمح إلى مكة ، ووزعها على المحتاجين فانحطت الأسعار [٢] .

وتوالى إرسال المعونات إلى مكة ، ففي سنة ٧٩٤هـ (١٣٩١م) حمل أمير الحج ثلاثة آلاف إردب قمح، وألف إردب شعير ، وألف إردب فول ، إلى شريف مكة على بن عجلان [٣] .

كما قام أمير الحج المصري آقبغا التركماني [٤] في سنة ٨٢٩هـ (١٤٢٥م) بتفرقة ألف إردب قمح في مكة بأمر السلطان الأشرف برسباي [٥] .

صـ٣٦٦ .

(١) هو : أبو بكر سنقر الجمالي بهادر ، الأمير زين الدين وقيل سيف الدين ، كان من جملة أمراء الألوف بالديار المصرية ، وثاني حاجب في الدولة الظاهرية برقوق ، توفى سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) .المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق٣ ، صـ١٠٧١، ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ٢ / ٨١٦ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ١٢ / ١٠٩ ، الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٦٧٨ .

(٣) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، ١ / ٣٤٧ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، صـ٥٣١.

(٤) هو : آقبغا التركماني الناصري فرج ، أمَّره الأشرف برسباي أمير عشرة وولاه إمرة الحج ، ثم نيابة الكرك ، وكان كريماً ، توفى سنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م) . ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٢ / ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٢ / ٣١٦.

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٦٣٤ .

وفي سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١م) زاد ارتفاع الأسعار في مكة ، بل أخذ السعر يختلف في نفس اليوم من وقت لآخر ، فبيع الدقيق في أول النهار بسبعة دنانير عندما وصل ركب الحجاج إلى ينبع ، وفي الظهر ارتفع إلى اثني عشر ديناراً ، وفي العصر بيع بعشرة دنانير ، وبالرغم من أن البقسماط[١] كان أرخص الأطعمة إلاّ أنه وصل إلى ستين درهماً ، لكن الأسعار رخصت عندما وصل أمير الحج المصري بالمراكب المحملة بالغلال والإمدادات ، وانخفض سعر الدقيق والعليق ، ورخصت أسعار جميع الأطعمة حتى بيع الأرز من أفلوري [٢] إلى ثلاثة [٣] .

وعندما حج السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٤هـ (١٤٨٩م) وزَّع صدقاته على أهل مكة ، والتي بلغت خمسة آلاف دينار ، فضلاً عن الطعام والكساء [٤] .

ولم يتوقف إرسال المعونات إلى مكة في أوقات الأزمات الاقتصادية إلاّ في السنوات التي تتعرض فيها مصر للأزمات الشديدة الناتجة عن انخفاض النيل أو ارتفاعه عن الحد اللازم للزراعة ، أو انتشار الأوبئة مثلما حدث في سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥م) وسنة ٧٤٠ – ٧٤١هـ (١٣٣٩ – ١٣٤٠م) وسنة ٧٧٥هـ (

---

(١) بقسماط : اسم لنوع من الخبز يخبز ويخفف ويسمي في المغرب (بشماط). المعجم الوسيط ، ١/ ٦٥ .

(٢) الدينار الفلوري : نسبة إلى فلورنسا الإيطالية ، وكان يطلق عليها اسم فلورين ، وهو يجلب من بلاد الأفرنج وعلى أحد وجهه صورة الملك في دائرة مكتوبة ، وفي الوجه الآخر صورتان في دائرة مكتوبة ، هما صورة بطرس وبولس الحواريين .القلقشندى : صبح الأعشى ٣ / ٤٣٧ ، عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، صـ٩٥ ، ٩٩ .

(٣) السخاوي : التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ١٩٦٨م ، صـ١٨ ، ١٩ .

(٤) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ١٦٠ ، ١٦١ ، الرشيدي : حسن الصفا ، صـ١٤٧.

١٣٧٣م) ، وسنة ٧٧٧هـ (١٣٧٥م) وسنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م) وسنة ٨٠٩هـ (١٤٠٦م) وسنة ٨٨١هـ (١٤٧٦م) حيث اجتاح مصر جدب وغلاء وانتشار الأوبئة بسبب انخفاض مياه نهر النيل ، لذلك انقطعت اعطيات سلاطين المماليك وأمراء الحج لأهل الحرمين الشريفين في هذه السنوات [١] .

ولم يكتف أمراء الحج المصري بإرسال الامدادات من المؤن والغلال إلى مكة وإنما كان لهم دور في محاربة الغلاء أثناء الأزمات ، وذلك عن طريق منع التجار من الاحتكار[٢]، كما حدث في سنة ٨٢٣هـ (١٤٢٠هـ) عندما قام مجموعة من الباعة المصريين الذين استقروا بمكة وجلسوا بالمتاجرة في المسعى بين الصفا والمروة باحتكار التجارة ، فأمر أمير الحج المصري بإخراجهم من مكة ومنعهم من التجارة [٣] .

وفي سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢م) ارتفع سعر الدقيق بمكة فأمر أمير الحج المصري قانصوه خمس مائة [٤] أن ينادي على الحمل الدقيق بعشرة دنانير شرفية

---

(١) أحمد دراج : الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٦ – ١٩٦٧م ، صـ١١٣ ، ١١٤ .

(٢) الاحتكار : هو جمع السلع لينفرد بالتصرف فيها ، وغالباً ما يحدث في الغلال ، حيث يتفق التجار على تخزين الغلال بكميات كبيرة حتى يقل وجودها بالأسواق مما يؤدي إلى تكالب الناس على شرائها بأسعار مرتفعة يحددها أولئك التجار .المعجم الوسيط ، ١ / ١٩٦ ، عثمان علي محمد عطا : الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢م ، صـ١٣٧ .

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، صـ٧٥٤، ابن حجر : إنباء الغمر ، ٢ / ٢٨٢.

(٤) هو : قانصوه خمس مائة الأشرفي قايتباي ترقى إلى أن صار دواداراً ثانياً ، وأمير أخور ، وصاهر الأتابك على ابنته سبطة الظاهر جقمق وحج أميراً سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢م)

[١] بدلاً من عشرين دينار ، ولكن لم يسمع أحد له فأخفى أصحاب الدقيق ما معهم ، فسأل أمير الحج العتالين عن أصحاب الدقيق فدلوه على أناس قليلين ، فأخذ ما معهم ، واجتمع الناس لشرائه فلم يكف إلا القليل من الناس [٢] . وهكذا نجد أن أمراء الحج المصري كان لهم دور مهم في الأزمات الاقتصادية التي أصابت مكة خلال العصر المملوكي.

الفصل الثالث

" دور أمراء الحج المصري في الحياة الاجتماعية في مكة "

ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ٢٩٦ .

(١) الدينار الأشرفي : ينسب إلى السلطان الأشرف برسباي سلطان مصر ، كان وزنه ٤١ ,٣ جرام من الذهب ، وكان من العملات الرائجة الانتشار في مكة . السخاوي : التبر المسبوك ، صـ٤٧ ، ٣٢٥ ، عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ، صـ١٠٠ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد، ١ / ٧٦٥ – ٧٦٨ .

لم يكن دور أمراء الحج المصري في مكة مقتصراً على الاهتمام بالحياة السياسية والتجارية ودعم الأمن والاستقرار ، ورفع الظلم عن كاهل السكان ، بل تعداها ليشمل أيضاً أوجه الحياة المختلفة ، لذا فقد قام أمراء الحج بتوفير حياة كريمة لجميع طبقات المجتمع المكي وقدموا الرعاية الصحية للمرضى والعجزة والمحتاجين فضلاً عن الدعم المادي للفقراء والمساكين من أهل مكة ولكل من جاور فيها كما قاموا بإنشاء العديد من المنشآت التي تخدم المجتمع ووقفوا عليها الأوقاف التي تتضمن استمرارها .

١- الاهتمام بالأشراف والأمراء :

كان الأشراف والأمراء يمثلون الطبقة العليا في المجتمع المكي ، وكان هؤلاء يخرجون كل سنة لملاقاة أمير الحج المصري ، خصوصاً وأن حماية المحمل تسند عادة لواحد من أكابر أمراء المماليك الذين يهم أمراء مكة إرضاؤهم ، ثم إن العادة قد جرت بأن ترسل الهبات والصدقات صحبة المحمل ، مما يجعل قدومه مناسبة تحمل تباشير الخير لأهل مكة وحكامها ، لذا استحق منهم حسن الاستقبال [١] .

وكان هذا الاستقبال يتم في جوٍ من الفرح والسرور ، فكانوا يخرجون بالطبول والخيول المزينة في مشهد عظيم ، ثم يقوم أمير الحج المصري – بصفته ممثلاً للسلطان المملوكي – بتقليد أمير مكة حلة الشرف تأكيداً لتوليه منصبه كنائب للسلطان [٢] .

وكان أمراء الحج المصري يقدموا للأشراف والأمراء الكثير من الأموال التي تعينهم على تصريف شؤون إمارتهم ، يضاف إلى ذلك ما كانوا ينالونه من الهبات

(١) عبد الله عنقاوي : المحمل ، صـ٣٢٤ .

(٢) الفاسي : العقد ، ٢ / ١٤٣ .

والعطايا ، فالأموال التي كانت تصل إليهم من أمراء الحج أو من السلاطين عن طريق أمراء الحج كثيرة ، ولم تكن لها قاعدة تنظمها أو تحكمها ، لكنها غالباً ما تصل إليهم في أوقات الرخاء والشدة ، ولا سيما إن كانت لأمن الحجاج وراحتهم وتسهيل أداء مناسكهم ، وغالباً ما كانت هذه الأموال والأعطيات مرتبطة برضا السلاطين وسخطهم عليهم ، فكانت تصرف مع رضاهم وتحبس مع عدمه [١] .

فمثلت هذه الأموال والأعطيات مورداً مهماً للأشراف والأمراء يضمن لهم حياة اجتماعية كريمة ، وظهر ذلك من خلال ما حدث في العصر المملوكي ، ففي سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) عندما كان السلطان الظاهر بيبرس أميراً للحج رتب لأميري مكة الشريف إدريس وأبي نمى عشرين ألف درهم نقرة عوضاً عما يؤخذ بمكة من المكوس التي تمثل لهما مورداً مهماً ، كما تصدق على أمراء الحجاز كافة [٢] .

وفي سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) أعطى أمير الحج الأمير أنص ابن السلطان العادل كتبغا لشريف مكة أبي نمى سبعين ألف درهم وخلع على الأمراء بالعطايا الواسعة [٣] .

واستمرت أعطيات أمراء الحج المصري للأشراف والأمراء ، ففي سنة ٧٣١هـ (١٣٣٠م) أعطى أمير الحج أتيمش الناصري [٤] للشريف رميثة بن

(١) ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٧ / ٢٥٢ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ٣ / ٣٨٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٩٧ .

(٢) الفاسي : مصدر سابق ، ٢ / ٣٨٣ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٩٧.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم ، ٨ / ٥٧ .

(٤) هو : أتيمش بن عبد الله المحمدي الناصري ، توفى سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) في صفد . ابن حجر : الدرر ، ١ / ٤٥٤ ، ابن تغري بردي : الدليل ، ١ / ١٩٤.

عجلان أربعين ألف درهم [١] .

هذا بالإضافة إلى ما كان يرسله السلاطين مع أمراء الحج للأشراف والأمراء من ريع الأوقاف التي خصصت للحرم الشريف ، فحجة وقف السلطان الأشرف شعبان قد خصت في أوجه صرفها أمير مكة بمائة وستين ألف درهم نقرة سنوياً ، بشرط ألا يحصّل شيئاً من المكوس على سائر الحجاج أو المقيمين والزائرين ، أو المجتازين براً وبحراً ، وألا يأخذ شيئاً من المكس على ما يباع بأسواق مكة [٢] ، كما حمل أمير الحج مبلغ خمسة آلاف درهم نقرة لأمير مكة عوضاً عن المبالغ التي كان يأخذها من بني شيبة [٣] ، نظير فتح مكة ، وفتح مقام إبراهيم (عليه السلام) [٤] .

وعلى نسق أوقاف سلاطين المماليك سار أمراء الحج في أوقافهم على الحرمين الشريفين من الاهتمام بالأشراف الهاشميين [٥] كما جاء في حجة وقف أمير الحج سيف الدين بكتمر الجوكندار سنة ٧٠٧هـ (١٣٠٧م) والتي شملت

---

(١) المقريزي : السلوك : جـ٢ ، ق٢ ، صـ٣٢٩ .

(٢) راشد سعد راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ، صـ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) نسبة إلى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، يكنى أبا عثمان ، أسلم يوم فتح مكة وقيل يوم حنين ، دفع الرسول (ﷺ) مفتاح الكعبة إلى ابن عمه عثمان بن طلحة وقال : " خذوها خالدة مخلدة تالدة إلى يوم القيامة يا بني طلحة لا يأخذها منكم إلا ظالم " فاستمر بنو شيبة يلون سدانة البيت دون منازع . ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ٢ / ٤٣٦ .

(٤) راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، صـ٨٩ ، ١١٧ .

(٥) الهاشميون : الذين عناهم صاحب الوقف هم الذين يتنسبون إلى محمد بن جعفر بن هاشم ، الذي تولى إمارة مكة سنة ٤٥٤هـ (١٠٦٢م) ، وهو مؤسس الطبقة الثالثة من الأشراف . الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ١٧٢ ، ٦ / ٢٣٨ ، شفاء الغرام ، ٢ / ٣١٠ .

كثيراً من الأراضي والعقارات بالقاهرة المحروسة [١] .

كذلك ما خصصه أمير الحج تغزى بردى المحمودي [٢] للأشراف والأمراء في حجة وقفه سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٣م) [٣] .

فقد ضمنت هذه الأوقاف وغيرها من المنح والهدايا والأعطيات الحياة الكريمة للأشراف والأمراء ، ودلت على مدى اهتمام أمراء الحج المصري بهم .

٢- الاهتمام بالمجاورين وأهالي مكة :

المجاورة في مكة مستحبة عن كثير من العلماء ، وقد جاور بها عدد كبير من الصحابة بعد وفاة النبي (ﷺ) ، والمجاورون في مكة ليسوا من بلدة واحدة ، بل جاءوا من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، ولم تكن مدة المجاورة محددة ولكنها تطول وتقصر حسب راحة المجاور والظروف المحيطة به ، فبعضهم مكث أربع سنوات ، وبعضهم امتدت إقامته إلى خمس سنوات ، بل إن أكثرهم فضلوا البقاء بمكة حتى يدركهم الموت ، فاختلطوا مع سكان مكة والتحموا بالمجتمع عن طريق المصاهرة ، وأصبحوا يشكلون جزء أساسياً من هيكل مكة الاجتماعي ، إلا أنهم ليسوا في الأصل من طبقة واحدة ، فمنهم صغار الأمراء ، وطلبة العلم والزهاد ،

---

(١) وثيقة وقف الأمير سيف الدين بكتمر ، رقم الوثيقة (٢٠) ، محفظة (٤) ، دار الوثائق القومية .

(٢) هو : تغري بردي المحمودي الناصري فرج رأس نوبة في الدولة الأشرفية برسباي ، ولـيّ أتابك العساكر بدمشق بعد الأمير قانباي الحمزاوي ، استمر على ذلك إلى أن مات سنة ٨٣٦هـ (١٤٣٢م) ، وكان أميراً للحج سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٤م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٢١٧ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ٢٩.

(٣) كانت الأعيان الموقوفة تشمل داراً بالقاهرة المحروسة بخط البندقيين ، وخوخة سوق الجوار ، وحمام السلطان . وثيقة وقف الأمير السيفي تغري بردي المحمودي ، رقم الوثيقة (٦٠٦ ج) أوقاف .

ومنهم التجار الذين قدموا للتجارة ، ثم فتحوا حوانيت لهم بمكة واستقروا فيها [١] .

وبلغت عناية أمراء الحج المصري بالمجاورين مبلغاً عظيماً ، فكثرت صدقاتهم وأوقافهم الواسعة عليهم في أوقات الشدة والرخاء ، فاطمأن هؤلاء الناس على أرزاقهم وسائر أمور معايشهم ، فتفرغوا لعبادتهم ، وتجارتهم ، وانصرف بعضهم إلى تعلم العلم وقراءة القرآن وإقرائه لغيرهم .

ومن مظاهر الاهتمام بالمجاورين ما فعله أمير الحج الملك أنص ابن العادل كتبغا سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) حيث فرق العديد من الهدايا والصدقات على المجاورين [٢] .

وفي سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م) لم ينس أمير الحج بكتمر الجوكندار المجاورين فقد أعطاهم الكثير من الأموال والأطعمة والحبوب والحلويات ، والدليل على كثرة عطاياه أنه أنفق في حجته هذه ثمانين ألف دينار [٣] . ومن أجل ضمان دخل ثابت للمجاورين فقد نصت حجة وقف الأمير بكتمر الجوكندار على أن يكون للمجاورين نصيب من ريع الوقف ، من أجل متطلبات حياتهم [٤] .

ومن الخدمات الجليلة التي أداها أمراء الحج المصري للمجاورين ما فعله الأمير سلار عندما حج سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٤م) فكتب أسماء المجاورين بمكة

---

(١) الفاسي : العقد ، ٦ / ١٤ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف ، القاهرة ١٩٣٨م ، صـ١٨ ، طرفة عبد العزيز العبيكان ، الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م ، صـ٢٤٤ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٢ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ٨ / ٥٧ ، ٥٨.

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٩١٧ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٣٢ ، السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، صـ١٣٧ .

(٤) وثيقة وقف سيف الدين بكتمر الجوكندار ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤) ، دار الوثائق القومية.

وأوفى عنهم الديون ، وأعطى لكل منهم بعد وفاء دينه مؤونة سنة كاملة ، كما فرق عليهم الذهب والفضة ، والكثير من العطايا من حلوى وسكر وغيرها [١] .

وفي حجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأولى سنة ٧١٢هـ (١٣١٢م) ، والثانية سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) ، تصدق بعشرين ألف دينار ، كان للمجاورين نصيب كبير فيها فضلاً عن الأعطيات [٢] .

وأما الأمير فخر الدين محمد ناظر الجيش [٣] فعندما حج سنة ٧٢١هـ (١٣٢١م) فرق على المجاورين وغيرهم اثني عشر ألف دينار ، عدا الكثير من الصدقات [٤] .

وفي سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٨م) عمت صدقات أمير الحج بشتاك الناصري جميع المجاورين ، وقد شملت هذه الصدقات المال والغلال والأطعمة وغيرها [٥] .

وفي سنة ٨١٧هـ قام أمير الحج جقمق المؤيدي بتوزيع الكثير من

---

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٥ ، ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٦ / ٨ ، ٩ ، الرشيدي : حسن الصفا ، صـ١٢٩ .

(٢) المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ٩ / ٢٠ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٦٤ .

(٣) هو : فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيوش بالديار المصرية ، كان نصرانياً ثم أسلم وحج غير مرة ، وزار القدس مرة ، وبنى مساجد كثيرة بالقاهرة ، وعمّر أحواضاً كثيرة بالطرقات ، وكان يتصدق في كل شهر بثلاثة آلاف درهم ، وبنى مدرسة بنابلس والرملة وبيمارستانا ، توفى سنة ٧٣٢هـ (١٣٣١م) . الصفدي : أعيان العصر ، ٥ / ٥٣ – ٥٧ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ٤ / ٨٦ .

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٢١٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٧٢ .

(٥) المقريزي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٤٧٢ ، الرشيدي : حسن الصفا ، صـ١٣٤ ، ١٣٥.

الصدقات العينية كالقمح ، والنقدية كالذهب ، على فقراء مجاوري المسجد الحرام [١] .

وقد نتج عن عطايا أمراء الحج وأوقافهم على المجاورين ، أن كثر عددهم ، وكانوا أحياناً يصطحبون معهم أسرهم متحملين مشاق السفر ، ليفوزوا بشرف المجاورة ، وذلك بفضل أمراء الحج وما وفروه لهم من حياة كريمة شملت كل أوضاع حياتهم ، فوجدوا الوقت الذي استثمروه في تحصيل المعارف المختلفة وكل ما يفعله أمراء الحج مع المجاورين من أجل كسب ودهم ودعائهم ، فقد كانوا يهتفون باسم الأمير سلار في الحرم الشريف قائلين : " يا سلار كفاك الله همّ النار " [٢] ، وإن دَلّ هذا فإنما يدل على مدى اهتمام أمراء الحج بالمجاورين .

ومن مظاهر اهتمام ورعاية أمراء الحج المصري بالمجاورين منع الظلم الواقع عليهم ، ففي سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) حدث تعدٍ من الشريف حميضة على المجاورين ، فاشتكوا للسلطان الناصر محمد خلال إقامته بها في موسم الحج وطلبوا منه أن يخلف عسكراً بمكة لمنع الشريف حميضة من دخولها ، فاستقر رأي السلطان على أن يبقى في مكة أمير الحج الأمير شمس الدين آقسنقر [٣] ، ومعه مائة فارس ، ولما عاد الناصر محمد إلى القاهرة ، أمر الأمير سيف الدين بيبرس الحاجب [٤] بالتوجه إلى مكة ، وأرسل معه مائة فارس ليقيموا بها بدلاً من آقسنقر

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ٣٨٣ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٥٢١ .

(٢) المقريزي : مصدر سابق ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٤ ، ٥ ، العيني : عقد الجمان ،٤/ ٣٤٩ – ٣٥١ .

(٣) هو : آقسنقر بن عبد الله السَّلارّي ، نائب صفد ، ثم نائب السلطنة بالديار المصرية ، قتل سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ١٤٢ .

(٤) هو : بيبرس الحاجب ، كان أولاً أمير أخور ، ثم تولى الحجوبية في عهد الناصر محمد ، ثم ولي نيابة الغيبة ، مات سنة ٧٤٢هـ (١٣٤٢م) ، وله دار داخل القاهرة . الصفدي :

وعسكره فاستطاع أمير الحج أن يحافظ على الأمن ، ويطمئن المجاورين بأنهم في رعايته وحمايته [١] .

٣- رعاية الفقراء والمعدمين والمنقطعين :

اكتظت مكة خاصة في موسم الحج بجمهور كبير من الفقراء والمعدمين وأشباه المعدمين الذين عاشوا في ضيق وعسر بالقياس إلى غيرهم من الطبقات المنعمة ، فضلاً عن وجود الأيتام والأرامل وغيرهم ، وهؤلاء جميعاً يمثلون جزء من المجتمع المكي ، وكان الإحسان إليهم ورعايتهم يمثل نوعاً من التكافل الاجتماعي ، فكان أمراء الحج المصري من السابقين في هذا المضمار .

وتمثلت رعاية الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى وغيرهم فيما يقدم له من أمراء الحج من مساعدات عينية أو نقدية ، وفيما خصصوه لهم من ريع أوقافهم .فلقد اعتاد أمراء الحج المصري على تخصيص بعض الأموال لتوزيعها على الفقراء من أهالي مكة ، لتسدَّ بعض احتياجاتهم ، لذلك فإن ورود هذه الأموال والأعطيات أو انقطاعها كان له تأثير فعّال على أحوال سكان مكة ، وظهرت هذه الرعاية عندما حج السلطان الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٨م) فأحسن إلى من بمكة من الفقراء والمعوزين ، وزودهم بالأموال وبما كان يحمله معه من بقسماط ، ودقيق ، وأشربه ، فكان في توزيع صدقاته حكيماً ، إذ كان ينفق في السر والعلن حسبما يرى ذلك مناسباً [٢] .

الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ، ١٠ / ٢١٩ .

(١) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٢٠٣ ، ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة،٩/٩٢.

(٢) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق : عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ط١ ، ١٣٩٦هـ ، صـ٣٥٤ ، المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ٩٠ .

وفي سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) قدم أمير الحج الطواشي بدر الدين الصوابي إلى مكة ومعه الكثير من الصدقات والأموال لأهل مكة تلبية لطلب أمير مكة الشريف أبي نمُى من السلطان المنصور قلاوون من أجل إغاثة أهالي مكة وفقرائها [١] . وتوالت الرعاية والعناية للفقراء والمحتاجين من قبل أمراء الحج ، فلم ينس أمير الحج أنص بن كتبغا الفقراء ، فوزع عليها الصدقات وشملهم برعايته حتى شكرت سيرته [٢] .

وعندما حج الخليفة العباسي في مصر الحاكم بأمر الله سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٧م) [٣] برَّ الفقراء وأطعمهم ، وتصدق عليهم بالمال الكثير الذي زوده به السلطان لاجين (٦٩٦ – ٦٩٨هـ / ١٢٩٦ – ١٢٩٨م) [٤] والمقدر بسبعمائة

(١) ابن عبد الظاهر : تشريف الأيام ، صـ١٤٥ ، ابن الفرات : تاريخ الدول ، ٧ / ٥٢ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ٢٤٢ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ٨ / ٥٧ ، ٥٨ .

(٣) هو : الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن العباسي ، قدم مصر سنة ٦٦٠هـ (١٢٦١م) ، وفي العام التالي بويع بالخلافة فهو ثاني خليفة عباسي بويع بعد المستعصم ، وأول خليفة عباسي سكن مصر وحج منها ، مات سنة٧٠١هـ (١٣٠١م) في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون الثانية ، ودفن بجوار السيدة نفيسة . الصفدي : أعيان العصر ، ٥ / ٨٤ ، المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ٥٩ ، ٦٠ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢٤٠/١ ، ٢٤١ .

(٤) هو : الملك المنصور حسام الدين لاجين ، من مماليك المنصور قلاوون ، ترقى في الخدم ، حتى تولى نيابة دمشق ، ولما ملك السلطان كتبغا جعله نائباً في مصر ، فوثب عليه وخلعه من الملك ، وتسلطن هو سنة ٦٩٦هـ (١٢٩٦م) ، وكان لاجين من أعقل الناس وأحسنهم ، وهو الذي راك البلاد ، وأبطل المكوس ، توفى سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) مقتولاً . بيبرس المنصوري : زبدة الفكرة ، ٩ / ٣٣٤ – ٣٣٩ ، الصفدي : أعيان العصر ٤ / ١٦٥ – ١٦٨ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٥١ – ٥٥ .

ألف درهم [١] .

ولم يترك الأمير بكتمر الجوكندار أحداً في مكة فقيراً كان أو غنياً إلا أعطاه ، وذلك أثناء حجه سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م) ، وكان يباشر الأمور بنفسه ولا يتكبر ويفعل ذلك وهو مستبشر به راجياً ثواب ربه [٢] ، وهذا ليس بغريب على الأمير بكتمر الذي خصص جزءاً كبيراً من أوقافه للصرف على أهالي الحرمين ، وعلى أصحاب الحاجة من الفقراء والمعوزين والمنقطعين ، وكل وجه من وجوه الخير [٣] .

وفي سنة ٧٣٩هـ (١٣٣٨م) قام أمير الحج بشتاك الناصر ومعه عدد من الأمراء بالإحسان على الفقراء والمحتاجين والمنقطعين ، وكان جملة ما فرقه ثلاثين ألف دينار وأربعمائة ألف درهم ، فلم يبق بمكة أحد حتى أسدى إليه معروفاً [٤] .

وفي سنة ٧٨٧هـ (١٣٨٥م) جهزَّ الأمير جركس الخليلي كثيراً من القمح إلى مكة ليعمل كل يوم خبزاً بحوالي خمسمائة رغيف وزعت على الفقراء [٥] .

وقام الأمير آقبغا التركماني ، بتوزيع خمسمائة إردب قمح على الأيتام والأرامل والعلماء والفقهاء وغيرهم وذلك سنة ٨٢٩هـ (١٤٢٥م) [٦] . كما قام الأمير شادبك الجكمي أمير الحج لسنة ٨٤٣هـ (١٤٣٩م) بتوزيع كثير من الذهب والدقيق والحلوى والسكر على الفقراء والأيتام والمساكين والمنقطعين بمكة

(١) المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ٦١ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، صـ٢٩٨ .
(٢) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، صـ٩١٧ ، ابن تغري بردي : النجوم ، ٨ / ١٤٦ .
(٣) وثيقة سيف الدين بكتمر ، رقم الوثيقة (٢٠) ، محفظة (٤) دار الوثائق .
(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٤٧٢ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢١٧ .
(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢١٧ ، صـ ٣٤٨ .
(٦) ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، صـ ٦٣٤ ، ابن إياس : بدائع الزهور : جـ١ ق٢ ، صـ٣٦٦ .

(١) .

ولم تقتصر رعاية أمراء الحج للفقراء والمعدمين والمنقطعين على تقديم الطعام والشراب والأموال لهم فقط ، بل شملت أيضاً الكساء ، ففي سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) قام أمير الحج شيخ المحمودي (٢) بصرف مائتي قميص ، مربوط على كل منها عشرة دراهم فضية لفقراء مكة (٣) .

كما حدد أمير الحج دولات باي (٤) في حجة وقفه المؤرخة في ٢٧من رمضان سنة ٨٦٥هـ (١٤٦٠م) أنه في حالة تعذر صرف ريع الوقف في الجهات التي عينها وحددها في الحرمين الشريفين ، صرف كامل الريع للفقراء والمساكين القاطنين بالحرمين الشريفين ، يصرف الناظر ذلك في مقابل شراء قمصان خام أو

(١) السخاوي : التبر المسبوك ، صـ٦٧ .

(٢) هو الملك المؤيد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري ، كان أصله من مماليك الظاهر برقوق ، ورقاه حتى جعله ساقياً ثم أمير عشرة ، ثم طبلخاناه ، ثم ولي نيابة طرابلس ، وكان أمير للحج سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) ، ثم تسلطن سنة ٨١٥هـ (١٤١٢م) ، وكان ملكاً شجاعاً مقداماً مهاباً ، عمر جامعاً داخل باب زويلة ، توفى سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) .العيني : عقد الجمان ، تحقيق : عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م ، صـ١٠٠ ، ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢/ ١٣٦ – ١٣٨ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٧ / ١٦٤ .

(٣) المقريزي : السلوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، ١٢٨/٦ .

(٤) هو : السيفي دولات باي المؤيدي ، ترقى في حياة أستاذه ، فكان أمير أول حين كان أستاذه أستاذه أمير محمل ، واستقر عند الأشرف قايتباي زردقاش ، وتوجه إلى الشام ، وجاء خبر موته في سنة ٨٧٥هـ (١٤٧٠م) . السخاوي :الضوء اللامع ، ٦ / ١٦٣ ، ١٦٤.

غيرها [١] .

وفي سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) أرسل السلطان الغوري الكثير من الصرر والزيوت لسكان مكة ، كما أرسل لهم الكساء صحبة أمير الحج [٢] .

٤- الرعاية الصحية لأفراد المجتمع المكي :

اهتم أمراء الحج المصري بالرعاية الصحية باعتبارها وجهاً من وجوه الارتقاء بالحياة الاجتماعية ، وكانت مساعداتهم واضحة على بيمارستان [٣] مكة المكرمة ، وكان العلاج بالبيمارستان في مكة عاماً يدخله الفقير والغني ، ويقيم به المرضى الفقراء وذوو الحاجة والعاجزون ، والمنقطعون من الرجال والنساء لمداواتهم ، وتستمر إقامتهم حتى شفائهم ، ويصرف لهم ما يلزم من الدواء ، وقد كان العلاج مكفولاً لجميع من يدخله لا فرق بين أهالي مكة أو غيرهم ، وكانت الخدمة الطبية تقدم دون مقابل [٤] .

وأدت عناية أمراء الحج بالرعاية الصحية إلى ازدهار العلوم الطبية والصيدلة وما يتعلق بهما ، وأمنت الأوقاف التي أوقفت من قبل أمراء الحج النفقات

---

(١) وثيقة وقف دولات باي المؤيدي ، رقم الوثيقة (١٢٩) محفظة (٢٠) دار الوثائق القومية .

(٢) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٢ / ١٥٦ ، السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، صـ١٧٧ .

(٣) البيمارستان : كلمة فارسية مركبة من مقطعين " بيما " أي مريض و " ستان " أي موضع ثم عربت فيقال " مارستان بفتح الراء وكسرها ، فالمارستان يعني المصحة أو المستشفى بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٩م ، صـ٨٤٦ ، المعجم الوسيط ، ٢ / ٨٦٣ .

(٤) ابن دقماق : الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين ، مخطوط رقم (١١٦٤) بمعهد المخطوطات العربية ، ورقة ١٧٤ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٥٣٨ .

لكل من يقوم بمصالح مرضى البيمارستان في مكة ، كالأطباء والكحالين ، والجراحين ، وصانعي الأدوية ، وغيرهم [١] .

ومن أمراء الحج الذين أوقفوا على بيمارستان مكة الزيني عبد الباسط [٢] حيث جعل من ضمن أوجه الصرف في حجته ، شراء جميع ما يلزم البيمارستان من أدوية وكسوة للمرضى ، وكل ما يلزم مصالحه عموماً [٣] . كما قام السلطان الظاهر بيبرس – الذي كان أميراً للحج سنة ٦٦٧هـ (١٢٦٧م) – بتجديد بيمارستان مكة وبعث إليه طبيباً يدعى محيي الدين أحمد بن أبي الحسن بن تميم ونقل إليه سائر الأدوات والمواد الطبية ، من مراهم ، وأشربه ، وأكحال لمعالجة المرضى [٤] .

وفي سنة ٩١١هـ (١٥٠٥م) أرسل السلطان الغوري مع أمير الحج الكثير من الأدوية والكساء للمرضى والفقراء [٥] .

هذا بالإضافة إلى القافلة الطبية المصاحبة لأمير الحج والتي كانت تضم مختلف التخصصات ، وتحمل معها العديد من الأدوية والمراهم والأدهان ، وعندما تصل إلى مكة كان أطباء هذه القافلة ينضمون إلى البيمارستان ليقدموا خدماتهم التي تخص الرعاية الصحية لكل من يفد إليهم من حجاج وغيرهم ، وهؤلاء الأطباء

---

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٩ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ .

(٢) هو : القاضي زين الدين عبد الباسط خليل بن إبراهيم ، نشأ بدمشق ، ثم قدم إلى مصر ، وتولى نظر الخزانة الشريفة ، ثم ولي نظر الجيش ، وأنشأ العديد من الأملاك ، توفى سنة ٨٥٤هـ (١٤٥٠م) . ابن تغري بردي : المنهل الصافي ، ٧ / ١٣٦ – ١٣٩ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٤ / ٢٤ .

(٣) وثيقة وقف الزيني عبد الباسط ، رقم الوثيقة (١٨٩ ج) أوقاف .

(٤) المقريزي : الخطط ، ٢ / ٤٠٥ ، راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، صـ١١٢ .

(٥) ابن إياس : بدائع الزهور ، ٤ / ٨٩ .

كانوا على مستوى عال من المعرفة والدراية [١] .

٥- المنشآت الاجتماعية :

كان من أهم المنشآت التي تخدم المجتمع المكي الأربطة [٢] التي أنشئت في مكة في أوقات مختلفة خلال العصر المملوكي ، وقد حرص أصحابها على أن تكون بجوار المسجد الحرام ، وذلك بسبب كثرة الوافدين والمحتاجين الذين يأتون إلى مكة وليس لهم دور تأويهم ، وقد ينقطع ببعضهم السبل فلا يقدرون على السفر والعودة إلى بلادهم فيقيمون بمكة ، أو يكونوا من الذين فضلوا البقاء بمكة رغبة في الحياة بجوار بيت الله الحرام ، وهؤلاء هم المجاورون ، وأحياناً يكون واقف الرابط يقصد به إيواء الضعفاء والفقراء من أهل البلد ومن غيرهم ، وكان من أبرز الأربطة التي أنشأها أمراء الحج في مكة وأوقفوا عليها الأوقاف :

أ- رباط الزمامة[٣] :

ينسب هذا الرباط إلى أمير الحج خشقدم [١] الزمام ، ويقع بقرب المسجد

(١) السخاوي : التحفة اللطيفة ، ١ / ٦٥ ، أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، بيروت ، (د.ت) ، صـ١١ .

(٢) الرباط : في اللغة مصدر رابط أي لازم ، والأربطة مفردها رباط ، وقد كانت في البداية مساكن على حدود العدو يسكنها المجاهدون ويرابطون بها على الجهاد ، ثم انتشرت في أنحاء العالم الإسلامي ، وهي عبارة عن مبان غالب سكانها من الفقراء والزهاد الذين ربطوا أنفسهم على العبادة والذكر . ابن منظور : لسان العرب ، ٥ / ١١٢ ، حسن الباشا : الألقاب الإسلامية ، صـ٤٦٦ .

(٣) الزمام : هو الموكل بحفظ الحريم ، أي الذي يتحدث على باب ستارة السلطان أو الأمير من الخدم والخصيان . القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ / ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، سعيد عاشور : العصر المماليكي ، صـ٤٣٠ .

الحرام [٢] ، وقد وقف عليه العديد من الأوقاف وهي عبارة عن مجموعة مخازن عددها اثنان وعشرون مخزناً ، وأحواشاً بمكة لم تحدد وثيقة الواقف موقعها [٣] .

ب- رباط الباسطية :

ينسب هذا الرباط إلى القاضي زين الدين عبد الباسط ، وقد وقفه سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) ، ويقع في الجانب الشمالي من المسجد الحرام عند باب العجلة ، المعروف فيما بعد بباب الباسطية [٤] .

ج- رباط العباس (٥) :

ينسب هذا الرباط للعباس (ﷺ) عم النبي (ﷺ) ، وقد كان هذا الرباط مطهره ، وعندما حج السلطان الناصر محمد بن قلاوون حولها إلى رباط ، ولم يرد عن هذا الرباط شروط وقفه وسكنه وتاريخ إقامته [٦] .

وقد كان لهذه الأربطة دور مهم في خدمة أهالي مكة والمجاورين وغيرهم ،

---

(١) هو : الطواشي خشقدم الظاهري برقوق ، تنقل في المناصب حتى صار خازندارا في الأيام الأشرفية ، واستقر زماماً حتى وفاته سنة ٨٣٩هـ (١٤٣٥م) . السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ١٧٥ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٦٤ .

(٣) وثيقة وقف الزيني خشقدم ، زمام الآدر الشريفة ، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة رقم (١٥) دار الوثائق القومية .

(٤) ابن فهد : مصدر سابق ، ٤ / ٥٩ .

(٥) ينسب هذا الرباط للعباس (ﷺ) لأنه أقيم في المكان الذي يقال إنه كان داراً للعباس (ﷺ) بين الصفا والمروة ، وهي عند العلم الذي يسعى منه من جاء من المروة يريد الصفا . الأزرقي : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق : رشدي صالح محسن ، بيروت، (د.ت)، ٢ / ٢٣٣ .

(٦) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٦١١ .

وقد عضد من دور هذه الأربطة وزاد من فعاليتها الأوقاف التي أوقفت عليها ، وكان لها تأثيراً إيجابي ومباشر على سكانها والمتعبدين فيها ، فقد ضمنت لهم الحياة الكريمة ووفرت لهم الرعاية الاجتماعية التي لم تغفلها هذه الأربطة .

٦- المرافق العامة :

حظيت مكة باهتمام ورعاية أمراء الحج المصري ، تخفيفاً عن سكان الحرم الشريف ، والوافدين إليه ، وعنايتهم بهذه المرافق كان علاجاً لما تعانيه مكة من ندرة الأمطار ، وقلة مياه الآبار ، وشح المياه عموماً ، بالإضافة إلى كثرة وفود الحجاج سنة بعد أخرى ، فكان جلّ اهتمام أمراء الحج يتجه إلى توفير المياه ، فشرعوا في حفر الآبار ، وعمارة العيون وإنشاء البرك والأسبلة والمطاهر وغيرها من المنشآت التي أقيمت في مكة وفي خارجها لخدمة الحجاج في موسم الحج ، وخدمة أهالي مكة والمنقطعين طوال العام ، وأهم هذه المرافق :

١- الآبار :

حرص أمراء الحج المصري على توفير الماء على طول الطريق إلى الحجاز وعملوا على حفر الآبار وصيانتها وجعلها صالحة لخدمة المسلمين ، في المواضع التي كانت تصادف ركب الحج في أماكن ومحطات استراحة الحجاج للتزود منها بما يلزمهم من الماء العذب ، مثال ذلك ما فعله أمير الحج آل ملك الجوكندار ، حيث أنشأ البرك لسقاية الحجاج في منطقة نخل وخصص لها من يديرونها بأجرة طوال السنة حتى تمتلئ بالمياه فيرتادها الحجاج والمسافرون في ذهابهم وإيابهم ، كما قام بحفر بئرين في النبك [١] ، وثلاثة أبيار في منطقة نبط [١] وذلك عندما حج

(١) النبك : تقع في طريق الحج المصري وتعرف بالمويلح ، وهي الآن تسمى مدينة المويلح على ساحل البحر الأحمر . ياقوت : معجم ، ٥ / ١١٨ ، البلادي : معجم معالم الحجاز ، ٢ / ٢٩٨ .

سنة ٧٢٣هـ (١٣٢٣م) [٢] .

وفي سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٤م) بنى أمير الحج كزل العجمي [٣] مناهل لسقاية الحجاج في مدين [٤] ، وعدة مناهل في الأزلم [٥] .

أما أمير الحج شاهين الطويل فقد قام بحفر بئر في منطقة عيون القصب [٦] ، وبئرين في زاعم وقبقاب ؛ لينتفع بهم الحجاج والتجار وغيرهم ، وذلك

---

(١) نبط : واد فيه آثار وبعض ما يحتاجه الحج شمال الحوراء على مرحلتين ، وهو منزل من منازل الحج المصري . ياقوت : المعجم : ٥ / ٢٥٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ١٤ / ٣٨٧ .

(٢) الجزيري : درر الفرائد ، ١ / ٢٥١ ، ٣٧٨ ، ٢ / ٤٠٨ ، أيوب باشا : مرآة جزيرة العرب ، صـ٢٤٤ .

(٣) هو : كزل العجمي الظاهر برقوق المعلم ، كان خاصكياً لسيده جمقدار ، ثم إمرة عشرة ، قدمه الناصر فرج وولاه الحجوبية الكبرى ، حج أمير محمل ، ونفاه المؤيد إلى دمشق ، ثم صار أمير طبلخانة . السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ٢٢٨ .

(٤) مدين : تقع على البحر الأحمر محاذية لتبوك وبها البئر الذي استقى منه موسى (ﷺ) لنبي الله شعيب عليهما السلام ، وهي مدينة قوم شعيب . ياقوت : معجم ، ٥ / ٧٨ .

(٥) المقريزي : السلوك ، جـ٤ ، ق٢ ، صـ٨٩٩ ، أبو المحاسن : النجوم ، ١٥ / ١٧٨ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٦٢٥ .

(٦) عيون القصب : مكان يقع في الطريق بين مكة ومصر ، وسميت بعيون لكثرة عيونها ولانتشار القصب فيها ، وهو وادٍ كثير المياه كثير الغابات شديد الحرارة . ياقوت : معجم ، ٤ / ١٨١ ، القلقشندي : صبح الأعشى ، ١٤ / ٣٨٦ ، أيوب باشا : مرآة جزيرة العرب ، ١ / ٢٤٣ .

عند حجه سنة ٨٣٤هـ (١٤٣٠م) [١] . وهذه أشهر الآبار التي قام أمراء الحج بحفرها في الطريق من مصر إلى مكة لخدمة الحجاج وقوافل التجارة والمنقطعين وغيرهم .

أما الآبار التي أنشئت داخل مكة فكان أهمها ، البئر الذي قام بحفره الزيني عبد الباسط ناظر الجيش من طريق العمرة [٢] على الثنَّية على يسار الذاهب إلى العمرة بقرب فخ ، وذلك سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٢م) [٣] ، كما جرت عدة إصلاحات في بئر زمزم على يد أمراء الحج كما حدث في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق سنة ٨٠٢هـ (١٣٩٨م) [٤] .

٢- الأسبلة :

من وجوه البر والخدمات الاجتماعية التي كانت بمكة في العصر المملوكي ما يعرف بالأسبلة ، التي حرص الواقفون علي أن تكون صدقة جارية في حياتهم وبعد مماتهم ، وكان لهذه الأسبلة أهمية كبيرة بمكة ، وذلك لندرة الماء مع كثرة الناس بها ، وخصوصاً في موسم الحج ، فقد كانت هذه الأسبلة تؤدي دوراً كبيراً في تزويد الناس بمياه الشرب ، وقد عملت أحواض بجانب الأسبلة لسقي الحيوانات التي كانت وسيلة المواصلات في ذلك الوقت .

ويتكون السبيل عادة من بناء بثلاث طوابق بحيث يكون الطابق الأول عبارة عن خزان يملأ بالماء ، والثاني عبارة عن غرفة السبيل وبداخلها أحواض

---

(١) ابن تغري بردي : النجوم ، ١٤ / ٣٥٥ ، الصيرفي : نزهة النفوس ، ٣ / ٢١٨ .

(٢) العمرة : يقصد بها التنعيم وهو وادٍ ينحدر شمالاً بين جبال بشم وجيل الشهيد جنوباً ، وهي ميقات لمن أراد العمرة من المكيين . البلادي : معالم مكة ، صـ٥٠ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، النهروالي : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ١٩٧٤م ، صـ٢١٢ .

(٤) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ٩٢ .

للماء تملأ من الخزان وتكون على وجه الأرض ، ويكون الطابق الثالث إما سكن للقائمين على السبيل أو حجرة لتعليم الأيتام ، أو وقفاً للسبيل [١] .

وقد انتشرت الأسبلة التي شيدها أمراء الحج في مكة وكان من أهمها :

أ- سبيل طيبغا الطويل :

أنشأ أمير الحج طيبغا الطويل سبيلا بالحرم الشريف ، ولم يعرف موقعه بالنسبة للحرم الشريف ، والأرجح أن يكون بقرب زمزم ، وقد أوقف الأمير طيبغا أوقافاً لهذا السبيل ولأعمال بر أخرى عملها بمكة ، وقد كان عمله هذا عندما كان أميراً للحج سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م) [٢] .

ب- أسبلة الزيني عبد الباسط :

بنى القاضي زين الدين عبد الباسط ثلاثة أسبلة بمكة ، منها سبيلان بالمعلاة والآخر بجوار مدرسته بمكة ، وكان بناء الأول سنة ٨١٩هـ (١٤١٦م) والثاني شيد عام ٨٢٦هـ (١٤٢٢م) ، وأما الثالث فقد شيده بقرب باب العجلة بجوار مدرسته سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) ، هذا بالإضافة إلى سبيل آخر شيده في طريق العمرة [٣] . وقد أوقف الزيني عبد الباسط العديد من الأوقاف على هذه الأسبلة ، وحدد فيها أوجه الصرف عليها ، فقد ورد في وثيقة وقفه " صرف ثلاثين مثقالاً [٤] ، أو ما يقوم مقامها من النقود في كل سنة تصرف في مصالح السبيل

---

(١) محمد محمد أمين ، وليلى علي إبراهيم : المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ، صـ٦٢ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ٣٠٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٩٦ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٦١٨ ، العقد الثمين ، ٣ / ٥٣٧ ، النهروالي : الإعلام : صـ٢٣٢

(٤) المثقال : جمعه مثاقيل ، وهو من الموازين مقداره درهم وثلاثة أسباع درهم . المعجم الوسيط ، ١ / ٩٨ .

المعروف بإنشاء الواقف المشار إليه بحدرة المعلاة بمكة المشرفة [١] .

٣- العيون :

لقد ساهم أمراء الحج المصري في تشييد العيون وترميمها في نطاق واسع من أجل تخفيف عطش الحجاج ، ومنع انتشار الأمراض والأوبئة التي تصيب الحجاج من جراء نقص المياه ، ولا سيما أن العيون تُعَّد الشريان الحيوي لضيوف الرحمن ، وكلما كثر عددها ذهب الظمأ ، وارتوت العروق ، ونشط الحجاج ، وانتفع بها أهالي مكة ، وكان من أهم هذه العيون :

(١) وثيقة وقف الزيني عبد الباسط ، رقم الوثيقة (١٨٩ ج) أوقاف .

أ- عين جوبان [1] :

تنسب هذه العين إلى الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراق ،وقد عمرها سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٥م) ، وقد وصل ماؤها إلى مكة ، وعم نفعها وعظم [2] ، وفي سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) أرسل السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون (٧٤٨ – ٧٦٢هـ / ١٣٤٧ – ١٣٦١م) [3] مع أمير الحج آل ملك الجوكندار مائتي ألف درهم لعمارة عين جوبان ، وعندما وصل الأمير آل ملك إلى مكة ، وجد أولاد جوبان أرسلوا مالاً لعمارتها ، فلم يوافق علي ذلك ، وكلف أحد أقربائه لعمارتها [4] .

وفي سنة ٧٥٠هـ (١٣٤٩م) وصلت أموال بيت المال من مودع الحكم [5] إلى مكة مع أمير الحج الأمير فارس الدين البكي [1] ، وكانت خاصة

---

(١) هو : جوبان بن تدوان نائب السلطنة بالعراق نيابة عن السلطان أبي سعيد بن خربندا ، ثم تغير عليه السلطان وقتله سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) ودفن بالبقيع ، وله الكثير من المآثر بمكة .الفاسي :العقد الثمين ، ٣ / ٢٤٦ ، ٤٤٧ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٢٥٣ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ٨١ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٣٤٧ .

(٣) هو : ناصر الدين حسن ابن الناصر محمد بن قلاوون ، تسلطن بعد أخيه السلطان حاجي سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) ، وخلع بأخيه الملك الصالح صالح سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) وعاد إلى السلطنة ثانياً سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) واستمر حتى قتل سنة ٧٦٢هـ (١٣٦١م) . ابن تغري بردي : مورد اللطافة ، ٢ / ٨٥ – ٩٤ ، النجوم ، ١١ /٤ – ٨.

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٧٦٨ ، ابن فهد : إتحاف ، ٣ / ٢٣٧ .

(٥) مودع الحكم هو : عبارة عن صندوق لحفظ المال يوضع في عهدة قاضي القضاة تحفظ فيه أموال اليتامى القُصّر وأموال الغائبين ، وأول من اتخذ لأموال اليتامى صندوقاً توضع فيه هو الأمير يلبغا العمري . ابن فهد : نفس المصدر ، ٣ / ٢٤٣ .

بعمارة عين جوبان بمكة ، ومبلغ عشرة آلاف درهم للعرب من أجل الاهتمام بالعين المذكورة ، وقد قررت الدولة المملوكية إرسال هذه المبلغ لهم سنوياً [٢] .

ب- عين جبل ثقبة :

من العيون التي أجريت بمكة عين جبل ثقبة ، أجراها السلطان الناصر محمد بن قلاوون في مجرى عين بازان ، وذلك سنة ٧٢٨هـ (١٣٢٧م) ووصلت المياه إلى مكة وأنفق على عمارتها خمسة آلاف درهم ، وامتلأت البرك منها ، وزرعت بها الفواكه والخضروات فعم بها النفع أهل مكة [٣] .

ج- عين حنين :

هذه العين عمرها أمير الحج الأمير زين الدين بركة العثماني سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) وهي مستجدة من عين ثقبة [٤] . كما عمرت هذه العين سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) بعد انقطاع ماؤها مدة طويلة [٥] .

هذا بالإضافة إلى العين التي أجراها أمير الحج الأمير آل ملك نائب السلطنة بمصر من منى إلى بركة السلم بطريق منى وذلك سنة ٧٤٥هـ (

---

(١) هو : الأمير فارس الدين ابن أخي الأخير سيف الدين آل ملك النائب ، ترقى في الخدم حتى صار من جملة الأمراء ، تولى نيابة غزة ، ثم قدم القاهرة فأنعم عليه بإمرة طلبخانة ، ثم نقل إلى تقدمة ألف ، توفى سنة ٧٥٦هـ (١٣٥٥م) . المقريزي : المقفى ، ٢ / ٢٧٦ ، ابن حجر : الدرر ، ١ / ٤٠٥ .

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٨٠٧ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٣.

(٣) المقريزي : نفس المصدر ، جـ٢ ، ق١ ، صـ٣٠٣ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، صـ٤٥٧ .

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق١ ، صـ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ابن فهد : مصدر سابق ٣ / ٣٣٤ .

(٥) إبراهيم رفعت باشا : مرآة الحرمين ، ١ / ٢١٥ ، ٢١٦ .

١٣٤٤م) [١] .

٤- البرك :

كانت مهمة البرك تخزين مياه الأمطار في أطراف الأودية ، حتى يستفيد منها المجتمع المكي ، وقد ساهم أمراء الحج المصري في إنشاء العديد من البرك ففي سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) قام أمير الحج الأمير آل ملك نائب السلطنة بمصر بتجديد البركة المعروفة ببركة السلم في طريق منى حيث أجرى العين إليها من منى [٢] . كما قام القاضي الزيني عبد الباسط ببناء فسقية ماء سنة ٨٢٨هـ (١٤٢٥م) عند باب المعلاة بالحرم الشريف [٣] .

٥- المطاهر :

من المنشآت الاجتماعية التي أقامها أمراء الحج المصري بمكة المطاهر ، وهي الأماكن التي يتطهر بها المسلم من النجاسة بالاغتسال والوضوء للصلاة ، وقد حرص المقيمون لهذه المنشآت أن تكون قريبة من المسجد الحرام ، وذلك لكثرة الحجاج والمعتمرين على مدار السنة . ومن هذه المطاهر :

أ- مطهرة الأمير آل ملك :

عمّر الأمير سيف الدين آل ملك أمير الحج سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) مطهرة بالقرب من باب الحزورة ، وجعل على هذه المطهرة ربع فوقها ، وهذه الربع

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) المقريزي : السلك ، جـ٢ ، ق٢ ، صـ٣٥٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٢٩

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ٢ / ١١٩ ، المقريزي : مصدر سابق ، جـ٤ ، ق٢ ، صـ٧٦٩ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ٢ / ١٠١ .

قد تكون سكناً للقائمين عليها ، أو وقفاً لصالح المطهرة وهو الأرجح [١] .

ب- مطهرة الأمير طيبغا الطويل :

شيد هذه المطهرة أمير الحج المصري طيبغا الطويل في سنة ٧٧٠هـ (١٣٦٨م) وتقع بالقرب من موضع يعرف بخرابة قريش بأسفل مكة تجاه باب العمرة [٢] .

ج- مطهرة الأمير زين الدين بركة :

أنشأ هذه المطهرة الأمير زين الدين بركة سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) بسوق الليل بالعطارين عند باب بني شيبة بقرب باب السلام ، وجعل عليها وقف ريع دكاكين لها ، وذلك لتوفير مورد ثابت لمصالح المطهرة ، وقد كان لهذه المطهرة ناظر يتفقد مصالحها ويهتم بشئوونها [٣] .

د- مطهرة السلطان قايتباي :

أمر السلطان قايتباي الأمير أمير الحج سنقر الجمالي سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) بإنشاء مطهرة باسمه بالقرب من مدرسته ورباطه بالمسعى [٤] .

هكذا نجد أن بناء المطاهر وتنظيفها بإزالة ما هو فاسد وملوَّث ، يدل على مدى رعاية أمراء الحج بالحجاج ، وأهالي مكة ، خاصة في النواحي الاجتماعية .

الفصل الرابع

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٣٥٠ ، المكي : تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري ، أيمن نصر الأزهري دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م ، صـ١٠٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٣٥١ ، المكي : تاريخ مكة ، صـ١٠٣ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ١/ ٦٣٨ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٣٥ .

(٤) ابن فهد : نفس المصدر ، ٤ / ٦١٩ .

دور أمراء الحج المصري في الحياة الدينية والعلمية

حظيت مكة في عصر سلاطين المماليك بأهمية دينية ونشاط علمي كبير ، بسبب كثرة توافد الحجاج إلى بيت الله الحرام ، لما أبداه سلاطين المماليك وأمراء الحج من عناية ورعاية القوافل المتجه إلى بيت الله الحرام وتوفير سبل الراحة لهم ، الأمر الذي أدى إلى كثرة توجه الناس إلى مكة وبعضهم طاب له المقام هناك فأصبح من المجاورين الذي كان لهم دور في الحياة العلمية .

ومن الأسباب المهمة التي ساعدت على النشاط الديني والنهضة العلمية في مكة عناية أمراء الحج بالمسجد الحرام والقائمين عليه والذي ارتبط بطبيعة الحال بالنهضة العلمية ، لأنهم أقاموا فيه العديد من حلقات العلم ، فضلاً عن العديد من المؤسسات التعليمية الأخرى ، التي اهتم أمراء الحج بإنشائها .

أولاً : دور أمراء الحج المصري في الحياة الدينية :

لم يقتصر أمراء الحج المصري على الدور السياسي والاقتصادي والاجتماعي في مكة ، وإنما كان لهم دور ديني يعتبر من أقوى الأدوار وأهمها ، إذ لم يكن خافياً على المسلمين فضل بيت الله الحرام ، قال تعالى : { إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (١) ، وقال عليه الصلاة والسلام : " صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام " (٢) ، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في فضل مكة كثيرة ، وكلها تبين ما للحرم الشريف من فضل عند الله وعند رسوله (ﷺ) ومن قدسيه في نفوس المسلمين.

لقد حرص أمراء الحج المصري على الاهتمام بالمراكز الدينية التي يتوجه

(١) سورة : آل عمران ، الآية [٩٦] .

(٢) صحيح مسلم ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، رقم ١٣٩٤ .

إليها الحجاج خلال الموسم ، وتوفير الراحة والطمأنينة لهم عن طريق إصلاح ما تهدم ، وترميم الأماكن التي تستوجب زيارتها ، وتأدية المناسك فيها ، ولاسيما المسجد الحرام ، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالوظائف الدينية ، والعمل على إزالة البدع والمنكرات .

الاهتمامات الدينية بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة :

تبرز اهتمامات أمراء الحج المصري بالمسجد الحرام والكعبة المشرفة بما كانوا يقومون به من عمل الإصلاحات في المسجد الحرام والكعبة وتزيينها .

١- المسجد الحرام

اهتم أمراء الحج المصري ببناء وترميم جميع أجزاء المسجد الحرام ، ففي سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) غُيرت الأساطين [١] التي حول المطاف ، وقد كانت من الأخشاب ، فجعلت من الحجارة وجعل بينها أخشاب لتعليق القناديل من أجل الإضاءة حول الكعبة [٢] .

وفي سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) قدم البناءون والنجارون والعمال مع أمير الحج المصري الأمير طغتمر الدوادار [٣] ، من أجل عمارة سقف المسجد الحرام بالقرب من رباط السدرة [٤] .

ولم يبخل أمراء الحج على عمارة المسجد الحرام بالجهد أو بالمال ، فعندما

---

(١) أساطين : جمع أسطوانة ، وهي العمود والسارية . المعجم الوسيط ، ١ / ١٧ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام : ١ / ٤٤٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٢٠٧ .

(٣) هو : طغتمر بن عبد الله النجمي الدوادار ، ولي الدوادارية الكبرى للملك الصالح إسماعيل والكامل شعبان ، ثم صار مقدم ألف بالقاهرة ، توفى قتيلاً في سنة ٧٤٨هـ (١٣٤٧م) . ابن حجر : الدرر ، ٢ / ٣٢٤ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٣٦٤ .

(٤) رباط السدرة : يقع بالجهة الشرقية من المسجد الحرام بالقرب من باب شيبة . الفاسي : مصدر سابق ، ١ / ٦٠٧ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٢٣٣ .

تعرض المسجد الحرام للحريق سنة ٨٠٢هـ (١٣٩٩م) [١] فأتلف الحريق بعض أجزائه الشمالية ، إضافة إلى تهدم عمودين من أعمدة المسجد بسبب سيل دخل الحرم في نفس العام ، كلفت الدولة أمير الحج بيسق الظاهري بعمارة المسجد الحرام ، فقدم في موسم حج سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) وبعد انتهاء موسم الحج وسفر الحجاج إلى ديارهم شرع الأمير بيسق في العمارة ، حيث كشف عن أساس العمارة السابقة ورفع عليها البناء من جديد ، واستخدم في البناء أحجاراً قطعت من الجبال المحيطة بالمسجد الحرام ، وأصلح أعمدة المسجد ، ولم يبق سوى تسقيف المسجد ، ونظراً لعدم وجود أخشاب تصلح لذلك عاد الأمير بيسق إلى مصر ، ثم قدم مرة أخرى في سنة ٨٠٧هـ (١٤٠٤م) وقد جلب معه الأخشاب اللازمة لسقف المسجد ، وأكمل عمارة المسجد على أحسن وجه [٢] .

وفي سنة ٨٤٦هـ (١٤٤٢م) قام أمير الحج الأمير تنم الظاهري [٣] بالعديد من الإصلاحات بالمسجد الحرام شملت سقف الرواق الغربي [٤] من المسجد ، وشملت أيضاً إصلاح أرض المطاف [٥] .

وفي ضوء الاهتمام الديني بعمارة المسجد الحرام اهتم أيضاً أمراء الحج

---

(١) كان سبب الحريق هو اشتعال حدث برباط رامشت بن شيرويه الفارسي توفي سنة ٥٣٤هـ (١١٣٩م) المجاور بالمسجد الحرام . الفاسي : العقد الثمين ، ٤ / ٨٧ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٤٣١ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٢٠ .

(٣) هو : الأمير تنم تنبك البردبك الظاهري برقوق ، صار خاصكيا في الأيام المؤيدية ، ورأس نوبة الجمدارية ، وترقي في المناصب ، تولى إمرة الحج غير مرة ، توفى سنة ٨٦٢هـ (١٤٥٧م). السخاوي : الضوء اللامع ، ٣ / ٤٢ .

(٤) الرواق : هو الساحة المحصورة بين صفين من الأعمدة أو بين صف أعمدة وجدار بشرط أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب . عاصم محمد رزق : معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة (د. ت) ، صـ١٢٥ .

(٥) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ١٩٦ .

المصري بعمارة المقامات الأربعة [١] التي بالمسجد الحرام .

ففي سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) قام الأمير بيسق الظاهري في عمارة مقام الحنفية عمارة متقنة فجعله بأربعة أعمدة من حجارة منحوتة وجعل له سقفا مدهوناً ومزخرفاً ، وقد اعترض عدد من العلماء على بناء مقام الحنفية بهذا الشكل وتميزه عن باقي المقامات ، ولكن أمير الحج لم يلتف إلى اعتراضهم لميل سلاطين المماليك لأتباع المذهب الحنفي لأن أغلبهم من أبناء جنسهم [٢] .

هذا بالإضافة إلى الأوقاف التي خصصت لعمارة الحرم الشريف مثل وقف الأمير بكتمر الجوكندار الذي نص على أن يصرف ريعه على عمارة الحرم الشريف [٣] .

٢- الكعبة المشرفة :

قام عدد من أمراء الحج المصري بالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالاهتمام بالكعبة المشرفة رغبة في الأجر والثواب ، ومن هؤلاء الأمير زين الدين بركة بن عبد الله الذي قام في سنة ٧٨١هـ (١٣٧٩م) بتصليح سقف الكعبة حيث طُلي بالنورة [٤] ، وذلك لمنع تسرب ماء المطر إلى داخل الكعبة ، ولعل الدافع لذلك هو تشقق الرخام الذي بسطح الكعبة ، كما قام أيضاً بتحلية الحجر الأسود [٥] .

---

(١) المقام : بمعنى الوقوف وهو عبارة عن مواضع زُينت بالأخشاب المزخرفة تصلى بها الأئمة الأربعة ، وهم الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي ، ويصلي خلف كل منهم أتباع مذهبه . ابن منظور : لسان العرب ، ١١ / ٣٥٥ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٤٦٢ ، ٣٦٣ ، السنجاري : منائح الكرم ، ٢ / ٤٠٥ .

(٣) وثيقة وقف الأمير بكتمر الجوكندار ، رقم الوثيقة (٢٠) محفظة (٤) دار الوثائق .

(٤) النورة : العلامة وحجر الكلس وأخلاط أملاح الكالسيوم والباريون . المعجم الوسيط ، ٢ / ٩٦٢ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٢٠٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٣٣٤ .

واستمرت النورة بسطح الكعبة حتى سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) حيث قام أمير الحج بيسق الشيخي بتغيرها ، كما عهد إلى المهندس المعلم أحمد بن الطولوني [١] بعمارة أجزاء من الكعبة ، فعمل على كشف رخام البيت الحرام من الداخل وأعاد إلصاق بعض الرخام الذي خُشي سقوطه في بعض جدران الكعبة ، وقام أيضاً بتحلية عتبة باب الكعبة العليا بالفضة ، وقام بوضع نفش باسم السلطان الظاهر برقوق وابنه الناصر فرج ومنفذ الاصطلاحات وعلقت في جدار البيت الشريف تخليداً لأعمالهم [٢] .

ومن مظاهر اهتمام أمراء الحج بالكعبة اهتمامهم أيضاً بالحجر الشريف [٣] حيث قاموا بترميمه بين الحين والآخر من الداخل والخارج بالرخام كلما احتاج إلى ذلك ، وكذلك فرش الحجر الشريف بالرخام ، وإصلاح ما يتلف منه ، كما حدث في سنة ٨٠١هـ (١٣٩٨م) عندما عمر الأمير بيسق الشيخي الحجر الشريف بالرخام [٤] . وهذا يدل على مكانة المشاعر في قلوب أمراء الحج المصري وأهميتها لديهم .

---

(١) هو : أحمد بن أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين بن المعلم شمس الدين الطولوني ، كبير المهندسين ، كان أبوه وجده مهندسين ، وعليهما المعول في العمائر السلطانية ، حج بسبب عمارة المسجد الحرام ، فمات راجعاً بين مرو وعسفان . السخاوي : الضوء اللامع ، ١ / ٢٢١.

(٢) الفاسي : شفاء الغرام : ١ / ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ابن فهد : إتحاف الورى : ٣ / ٤١٠ ، حسين عبد الله باسلامة : تاريخ الكعبة المعظمة ، عمارتها وكسوتها وسدانتها ، تهامة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ، صـ٢٣٣ .

(٣) الحجر الشريف : هو جزء من الكعبة قصرته قريش في بنائها ويبلغ ستة أذرع وشبرا . الأزرقي : أخبار مكة ، ١ / ٢٠ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٤٠٩ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤١٢ .

٣- كسوة الكعبة :

من مظاهر اهتمام سلاطين المماليك بمكة المكرمة ، حرصهم على إرسال كسوة الكعبة سنوياً ، لما في الكسوة المشرفة من إعلان السيادة الدينية على الحرم الشريف ، لذلك رفض سلاطين المماليك بشدة أي محاولة من جانب أي من الملوك سواء من ملوك اليمن أو التتار لإرسال الكسوة إلى الكعبة ، وقد أصبح إرسال الكسوة سنوياً تقليداً اتبعه سلاطين المماليك ، وكان الذي يحمل الكسوة إلى مكة هو أمير الحج المصري منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس الذي أرسل في سنة ٦٦٢هـ (١٢٦٣م) كسوة الكعبة ومعها الشموع والزيوت والبخور بصحبة أمير الحج الطواشي جمال الدين محسن الصالحي [١] ، واستمر هذا التقليد حتى نهاية العصر المملوكي [٢] .

وكسوة الكعبة المشرفة كانت تتناول كسوتها الداخلية والخارجية ، فالخارجية كانت تجدد كل عام ، بسبب تعرضها لحرارة الشمس ، فتفقد زهاء لونها ، وأما الداخلية فلا تجدد حتى تبلى ، ومادة نسيج الكسوة الداخلية كانت من الحرير الأحمر المذهب ، وتكتب فيها بعض الآيات القرآنية ، أما الخارجية فهي من الحرير الأسود تكسو الكعبة من أعلى إلى أسفل ، ولها طراز مدور من جهة الأرض عرضه ذراعان تكتب عليه آيات قرآنية ، كما يكتب عليه إهداء السلطان [٣] .

وقد أوقف السلاطين على كسوة الكعبة الأوقاف العظيمة ، وبعد أن ضعف

---

(١) هو : محسن جمال الدين الصالحين النجمي الطواشي وهو شيخ خدم المسجد النبوي ، وقد رافق القاضي شمس الدين ومعه الجمال والرجال والآلات لعمارة المسجد النبوي . السخاوي : التحفة اللطيفة ، ٣ / ٤٤٩ .

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٥ / ٣١ ، المقريزي : الذهب المسبوك ، صـ١١٤ ، ١١٧ ، الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ١٩٥ ، السخاوي : التبر المسبوك ، صـ٩١ .

(٣) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٢٠١ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٥٩٦ .

ريع الوقف عن الوفاء بحاجاتها ، كسوها من أموالهم [١] .

وكان المتولي لأمر هذه الكسوة الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش سنة ٨٢٦هـ (١٤٢٢م) في عهد السلطان الأشرف برسباي [٢] .

واستحدث في العهد المملوكي كسوة الحجر الشريف ؛ فقد وصلت مع أمير الحج سنة ٨٥٢هـ (١٤٤٨م) كسوة لداخل الحجر الشريف ولكن لم يلبس بها الحجر الشريف بل احتفظ بها إلى العام التالي ٨٥٣هـ (١٤٤٩م) حتى قدم أمير الحج ومعه تكملة لهذه الكسوة [٣] .

ولم يكتف أمير الحج بحمل كسوة الكعبة والحجر الشريف ، بل أحياناً كان يحمل بعض الكساوي والستائر التي تهديها نساء السلاطين ، ففي سنة ٧٩٢هـ (١٣٩١م) جهزت أخت السلطان برقوق كسوة نفيسة للحجر الشريف وستارة قيمة للباب ، وكانت قد نذرت أن تصنع ذلك إن عاد أخوها برقوق إلى السلطنة ، وأرسلت الكسوة والستارة في موكب حافل مع أمير الحج [٤] .

وعندما تصل كسوة الكعبة إلى مكة ، يتم استقبالها في حفل بهيج ، وكان أمير الحج هو الذي ينال شرف تعليق كسوة الكعبة ، كما حدث في سنة ٨٨٣هـ (١٤٧٨م) حيث علقت كسوة جديدة أرسلها السلطان قايتباي في احتفال حضره الشريف محمد بن بركات أمير مكة وأمير الحج الأمير قجماس الظاهري [٥] وعدد

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، ٤ / ٣٠٢ ، النهروالي : الإعلام ، صـ١٤٤ ، إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين ، ١ / ١٨٤ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ٢٢٧ ، السنجاري : منائح الكرم ، ٢ / ٤٢٨ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى : ٤ / ٢٨٠ ، ٢٨٧ ، النهروالي : الإعلام ، صـ٢٣٦ .

(٤) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق٣ ، صـ٩٦١ ، ابن تغري بردي : النجوم ،١٢ / ١٧٢ .

(٥) هو : قجماس بن عبد الله الظاهري الملقب بسيف الدين ، أحد مقدمي الألوف ، وابن عم الظاهر برقوق ، توفى بعد التسعين وثمانمائة . ابن إياس : بدائع الزهور ، ٣ / ١٤٩ .

من الأعيان والأمراء [١] .

الوظائف الدينية :

تعددت الوظائف الدينية في مكة وتنوعت وكان معظمها متعلق بالمسجد الحرام ، وكانت هذه الوظائف موضع رعاية وعناية أمراء الحج المصري ، لأنهم هم الذين يأتون بمراسيم تعيينهم وعزلهم ، وأحياناً هم الذين يتولون أمر تعيينهم ، فمن هذه الوظائف :

١- إمامة المسجد الحرام :

كان في المسجد الحرام في العصر المملوكي أربعة أئمة كل إمام على مذهب من المذاهب الأربعة ، وكان لكل إمام مقر يؤدي فيه الصلاة بأتباع مذهبه يسمى مقام ، وقد كانت صلاتهم مرتبة في الحرم الشريف بحيث يصلي الإمام الشافعي ثم الحنفي ثم المالكي ثم الحنبلي ، وهذا الترتيب في جميع الفروض ما عدا فرض المغرب فيصلي الجميع سوياً لضيق الوقت [٢] ، وقد قامت الدولة بجمعهم في صلاة المغرب على الإمام الشافعي وقد صدر مرسوم بذلك من قبل السلطان الناصر فرج سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) وقرأه أمير الحج على الأشهاد واستمر العمل بذلك المرسوم حتى أبطل بمرسوم آخر سنة ٨١٦هـ (١٤١٣م) [٣] .

وكان تعيين أحد الأئمة في أي مقام من المقامات الأربعة يتم من قبل السلطان في مصر ويرسل بذلك مرسوماً يقرأه أمير الحج بالحرم الشريف ، وكان يحدث أن يتدخل أمير مكة بتعيين بعض الأئمة ، ولكن الأمر يأتي من مصر بإقرار

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ابن فهد : غاية المرام ، ٢ / ٥٣٢ .
(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، صـ٢١٣ .
(٣) ابن ظهيرة : نفس المصدر والصفحة ، السنجاري : منائح الكرم ، ٢ / ٤١٠ .

ما يراه السلطان مناسباً [١] .

وكان يصرف لكل إمام راتب سنوي من قبل الدولة يحمله معه أمير الحج ، هذا بالإضافة إلى ما خصص لهم من أوقاف السلاطين والتي تصل إلى أربعمائة درهم في الشهر ، وقد يحصل أئمة المسجد الحرام على أموال من قبل المتصدقين وأمراء الحج كما حدث في سنة ٩١٣هـ (١٥٠٧م) حيث نال كل إمام مبلغاً من المال قدر بدينارين أشرفيين [٢] .

٢- الخطباء :

كان الخطباء في العصر المملوكي في المسجد الحرام على درجة كبيرة من العلم والمعرفة بالعلوم الدينية واللغوية ، فقد كانوا علماء ومحدثين وقراء وفقهاء ومفسرين ، وقد كان سلاطين المماليك في الغالب يتحرون الدقة في اختيار الخطيب إذا حدث تنافس عليها ، ويسألون عنه العلماء في مصر ، وكانوا يرسلون لهم راتباً مقابل قيامهم بالخطبة ، وبالإضافة إلى ما يتلقاه الخطيب من مرتب من الدولة كان يصل إليه أموال من بعض أمراء الحج [٣] .

وكان الخطيب يتم تعيينه بمرسوم صدر من السلطان وغالباً ما يحمله أمير الحج الذي يقرأه في المسجد الحرام ، وإذا عزل يصدر بحقه مرسوم أيضاً ،

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢ / ٣٧٥ ، ٣ / ٦٠٤ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٧٢ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٩ / ٧٨ .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ٦ / ٣٠٨ ، ابن فهد : بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : عبد الرحمن بن أبو الخيور ، جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م ، ١ / ٣١١ ، راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف ، صـ٩٩ .

(٣) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المشهورة برحلة ابن بطوطة ، دار التحرير ، القاهرة ١٩٦٦م ، صـ١٨٥ . الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ١٠٣

وبعضهم بقي في منصبه حتى وفاته [١] .

٣- القضاء :

كان القضاء في مكة يتبع نظام القضاء في مصر بحكم التبعية السياسية للبلاد ، لذلك كان أغلب القضاة في مكة على المذهب الشافعي كما كان في مصر [٢] ، وكان تعيين القضاة يتم من قبل السلاطين بعد استشارة كبار العلماء في مصر [٣] ، وبعد اختياره يُرسل مرسوم بتعيينه يقرأ على رؤوس الأشهاد بالمسجد الحرام ، وغالباً ما يحضر أمير مكة وعلية القوم مراسم التعيين ، وبعد قراءة مرسوم التعيين يلبس خلعة تفد إليه من مصر دليلاً على توليته القضاء [٤] .

وأحياناً كان يتم تعيين القاضي من قبل بعض أمراء الحج الذين يوكل إليهم السلطان تولية من يراه أهلاً للقضاء ، وذلك إذا حدث تنافس كبير على المنصب ، مثال ذلك ما فعله أمير الحج المصري طولون الناصري [٥] ، عندما عزل القاضي عز الدين النويري [٦] ، وولي القضاء للقاضي جمال الدين محمد بن ظهيرة [١]

---

(١) الفاسي : نفس المصدر ، ٢ / ٢١ ، ٧١ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٤٢٩ .

(٢) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ٧ / ١٢١ ، العصامي : سمط النجوم ، ٤ / ١٨ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق١ ، صـ٣٢١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ١٠٤ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٥٢١ .

(٥) هو : طولون بن عبد الله بن علي باشاه الظاهري برقوق ، تولى مدينة غزة ، ثم الإسكندرية ، ثم أصبح من كبار أمراء الدولة بمصر ، ثم نقل إلى صفد إلى أن قتل في واقعة كانت بين جانم نائب حلب وبين شيخ المحمودي سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ١ / ٣٧٤ .

(٦) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز القرشي كمال الدين النويري المكي الشافعي ولد سنة ٧٧٥هـ (١٣٧٣م) بطيبة ونشأ بها ، سمع من عدد من العلماء وتفقه مدة طويلة

بسبب الخلاف بينهما ، وذلك في سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) [٢] .

٤- المؤذنون :

من الوظائف الدينية في المسجد الحرام وظيفة المؤذن ، وكان تعيين المؤذن وعزله بيد القاضي الشافعي بمكة ، وأحياناً يتم هذا من قبل الأمير الباش [٣] المقيم بمكة [٤] .

وكان اختيار المؤذنين يتم من المؤهلين علمياً ودينياً ، وذلك بحكم أنهم يعملون في أعظم مسجد في العالم وهو المسجد الحرام ، وكان عدد المؤذنين بالمسجد خمسة ، أربعة مؤذنين في المآذن والخامس رئيسهم على بئر زمزم ، وهو

، ناب لأبيه في الخطابة ، وناب في الحكم سنة ٧٩٧هـ (١٣٩٤م) ، وبعد وفاة والده ولاه السلطان قضاء مكة وخطابتها ، عزل سنة ٨٠٦هـ (١٤٠٣م) بأمر أمير الحج المصري طولون ثم أعيد سنة ٨٠٧هـ(١٤٠٤م) ، توفى سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) بمكة . ابن حجر : إنباء الغمر ، ٧ / ٢٨٨ .

(١) هو : محمد بن عبد الله بن ظهيرة بن أحمد بن عطية المخزومي الشافعي ، الأمام العلامة الحافظ قاضي مكة وخطيبها ، وناظر الحرم الشريف ، وتولى الحسبة ونظر الأوقاف ، ولد سنة ٧٥١هـ (١٣٥٠م) بمكة ونشأ بها ، وتفقه على فقهاء مكة ، وبرع في علوم عدة منها الحديث والفقه ، توفى بمكة سنة ٨١٧هـ (١٤١٤م) . ابن فهد الهاشمي : لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، صـ١٦٧ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٤٣٧ .

(٣) الأمير الباش : هو رئيس العسكر المقيم بمكة من قبل السلطان المملوكي ، حيث جعل سلاطين المماليك مجموعة من الجند تقيم بمكة وجعلوا لهم رئيساً ، والباش اسم لوظيفة في العصر المملوكي تعني رئيس الجند ، وذلك إذا كان عدد الجند مائة يكون رئيسهم باش حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ١ / ٢٩٣ .

(٤) ابن فهد : غاية المرام ، ٢ / ٥٥٩ ، ٦٢٠ .

الذي يبدأ بالأذان ثم يتبعه سائر المؤذنين [١] .

أما عن مرتبات هؤلاء المؤذنين ، فقد كانوا يحصلون على خمسين درهماً من قبل الدولة ، بالإضافة إلى ما كانوا يحصلون عليه من أموال الأوقاف [٢] .

٥- البوابون :

كان بالمسجد الحرام تسعة عشر باباً يدخل منها زوار المسجد ، وكان لهذه الأبواب بوابون يقومون بحفظها ، وكانت هذه الوظيفة في بداية الأمر عمل إضافي يسند إلى علماء مكة وفقهائها وقضاتها ، خاصة أنه لا توجد حاجة مُلحة لإغلاق المسجد حيث تبقى في الأغلب مفتوحة لكثرة المصلين والزائرين في كل الأوقات [٣] .

وهذا الأمر جعل هؤلاء البوابين يهملون في أداء وظيفتهم ، وينشغلون عنها بوظائفهم العلمية الأخرى ، الأمر الذي جعل أمير الحج بيسق الظاهري يلاحظ إهمال البوابين لأبواب المسجد ، فطلب منهم ملازمة الأبواب ، وذلك في سنة ٨٠٤هـ (١٤٠١م) [٤]. ومع تكرار إهمال أبواب المسجد من قبل البوابين قررت الدولة عزلهم ، وتولية أناس متفرغين لهذا العمل ، فتم تعيين بواب خاص لكل باب ، وحدد له العمل الذي يقوم به ، وهو حراسته من الداخلين لغير العبادة ومن الدواب ، وتنظيف الباب وكنسه ورشه بالماء ، وعدم مغادرة الباب ليلاً ولا نهاراً ، وكان هذا القرار سنة ٨٣٠هـ (١٤٢٦م) ، وفي المقابل كان البواب يحصل على راتب خاص

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٤٥٦ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، صـ٢١٦ ، راشد القحطاني : أوقاف السلطان الأشرف شعبان ، صـ٢٣٥ .

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، ٢ / ٢٤٧ ، راشد القحطاني : مرجع سابق ، صـ٢٣٥.

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٦٤٥ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٦٤٥ ، صـ٤٢٣ .

كل عام قدره عشرة دراهم أشرفية من الأوقاف المخصصة للحرمين [١] .

٦- الطوافة [٢] :

لم تعرف هذه الوظيفة قبل عصر دولة المماليك الجراكسة ، وذلك لأنهم بسبب جهلهم باللغة العربية ، وجدوا أنفسهم بحاجة إلى من يلقنهم الأدعية المأثورة عن النبي (ﷺ) في الحج ، ويرشدهم إلى مناسك الحج ، وأول من اتخذ مطوفاً السلطان قايتباي ، وذلك عندما حج سنة ٨٨٤هـ (١٤٨٠م) قام القاضي برهان الدين بن ظهيرة [٣] بتطويفه وتلقينه الأدعية في الطواف والسعي [٤] . ومنذ ذلك الوقت أصبح اتخاذ مطوف عادة عند سلاطين المماليك وبعض أمراء الحج ، ففي سنة ٩١٧هـ (١٥١١م) اتخذ أمير الحج طومان باي [٥] ، مطوفاً لتعريفه

(١) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٦٤٥ .

(٢) الطوافة : مأخوذة من الفعل طاف أي در حول البيت الحرام .ابن منظور : لسان العرب ، ٨ / ٢٢٢ .

(٣) هو : إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة القرشي المكي ، ولد سنة ٨٢٥هـ (١٤٢١م) وأخذ العلم عن عمه القاضي أبي السعادات وغيره ، وبرع في الفنون ، تولى قضاء مكة نحو ثلاثين سنة ، مات سنة ٨٩١هـ (١٤٨٦م) . السيوطي : نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحقيق : فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت) ، صـ١٧ – ٢٠ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٢ / ٦٤٦ ، النهروالي : الإعلام ، صـ٢٥٠ ، العصامي : سمط النجوم ، ٤ / ٤٦ .

(٥) هو : الأشرف طومان باي آخر ملوك الجراكسة بمصر ، اشتراه قانصوه الغوري ، وقدمه إلى الأشرف قايتباي ، فلما ولي الناصر محمد بن قايتباي أعتقه ، فترقى ، ولما آلت السلطنة للغوري ، جعله دواداراً كبيراً ، وبعد مقتل الغوري تولى طومان باي السلطنة سنة ٩٢٢هـ (١٥١٦م) وقاوم زحف السلطان سليم العثماني على مصر وحاربه في موقعة الريدانية ، فهزم وهرب إلى البادية فقبض عليه ، وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وبموته انتهت دولة المماليك . الغزي : الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م ، ١ / ٢١٠ ، ٢١١ ، النهروالي : الإعلام ، صـ٢٥٨ .

المناسك والأدعية [١] .

٧- السقاية .

كانت السقاية عبارة عن بناء مربع الشكل بجوار بئر زمزم ومسقوف بقبة وبداخل هذا البناء بركة تملأ من بئر زمزم ، وبخارج البناء المربع حوضان من رخام ، وكان الغرض من هذا البناء هو تخفيف الزحام عن بئر زمزم من كثرة الحجاج ، بالإضافة إلى إمكانية إضافة السكر والعسل علي الماء لحجاج بيت الله الحرام [٢] .

وقد كان متولي أمر السقاية يتم اختياره عن طريق الخليفة العباسي المقيم بالقاهرة ، وكان يساعد القائم بأمر السقاية عدد من القائمين الذين مهنتهم سقي الناس في المسجد الحرام وأثناء الطواف [٣] . وكان اهتم أمراء الحج المصري بهذه الوظيفة فخصصوا لها بعض أوقافهم ، من ذلك ما خصصه أمير الحج السيفي أتيمش في حجة وقفه ، فقد خصص مبلغ ثلاثين درهماً نقرة يصرف في ثمن ماء عذب ، وأجرة نقل ماء من بئر زمزم ، وثمن دوارق فخار ، وأجرة تسبيله (أي تبريده بوضعه في السبيل) في الحرم الشريف المكي [٤].

كما حددت وثيقة وقف الأمير طومان باي أمير الحج سنة ١٩١٧هـ (١٥١١م) قبل أن يلي السلطنة ، مقدار ما ينفق على السقاية وهو صرف عشرة دنانير كل سنة هلالية لشراء عشرة دوارق ولمن يملؤها من ماء زمزم أو من غيرها طوال السنة بعد تبريدها وتسبيلها للخاص والعام في الحرم الشريف [٥] . كل

---

(١) ابن فهد : بلوغ القرى ، ١ / ٥٠٣ .

(٢) السخاوي : التبر المسبوك ، صـ١٤٨ ، السنجاري : منائح الكرم ، ٣ / ٥٠ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٥٥٧ .

(٤) وثيقة وقف الأمير السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري ، رقم الوثيقة (١١٤٣ ق) أوقاف مكرر.

(٥) وثيقة وقف الأمير طومان باي ، رقم الوثيقة (٨٨٢) دار الكتب المصرية .

هذا يدل على مدى اهتمام أمراء الحج المصري بالسقاية وموظفيها .

دور أمراء الحج المصري في إزالة البدع [1] :

ظهرت في مكة خلال العصر المملوكي مظاهر دينية غير مشروعة ، كان يمارسها الناس مع وجود عدد كبير من العلماء والفقهاء ، ولم تكن معظم هذه المظاهر بدأت في العصر المملوكي ، وإنما ظهر أكثرها في عصور سابقة ، واستمرت خلال العصر المملوكي ، وقد كان من العلماء من ينكر هذه المظاهر ويعمل على حث الناس على تركها ، ولكن كان في الجانب الآخر من يرى أن القيام بها دليل على العاطفة الدينية فيعمل على إقامتها ، وكان الأمر يحتاج إلى أمراء أقوياء يعملون على إزالتها ، وتمثل ذلك في أمراء الحج المصري ، ومن هذه البدع :

١- بدعة الآذان :

كان المؤذنون في العصر المملوكي بالمسجد الحرام يقوم بجانب الآذان بالتسبيح والتهليل وإنشاد المدائح بالمنابر في آخر الليل وقد أمرهم بذلك أمير الحج الأمير تنم الظاهري وقام أمير الحج يشبك الدوادار [2] سنة ٨١٨هـ (١٤١٥م) بإزالة هذه البدعة وأنكر على المؤذنين ما يفعلونه ، وذلك بعد أخذ الدعم

---

(١) البدع : جمع بِدْعة ، وهي ما استحدث في الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعد النبي(ﷺ) من الأهواء والأعمال . المعجم الوسيط ، ١ / ٤٣ .

(٢) هو : يشبك الدوادار بن عبد الله الجكمي أمير أخور كبير ، أصله من مماليك جكم نائب حلب ، تولى الدوادارية ، في دولة المؤيد شيخ ، توجه أميراً للمحمل سنة٨١٨هـ(١٤١٥ م) وفي سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) ، بعد انقضاء الموسم وصل إلى المدينة وفر منها إلى العراق ، ثم عاد إلى مصر في عهد السلطان ططر ، وولي أمير أخور ، قبض عليه سنة ٨٢٤هـ (١٤٢١م) وحبس في الإسكندرية إلى أن توفى بها سنة ٨٣٣هـ (١٤٢٩م) . ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ٢ / ٧٨٧ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٩ / ٢٧٥ .

من قبل الدولة ، وقد ساعده على ذلك عدد من الفقهاء في مكة ومصر [١] .

ومن البدع التي ظهرت في الآذان بدعة الآذان " بحي على خير العمل " تأثراً بالمذهب الشيعي الزيدي [٢] الذي انتشر في مكة وكان له مؤيدون من الأشراف مثل الشريف رُميثه بن أبي نمي ، الأمر الذي أغضب السلطان الناصر محمد بن قلاوون فبعث بمرسوم مع أمير الحج أرغون الدوادار سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٥م) وأمره بتبطيل مقام الزيدية ، وإخراج إمام الزيدية من المسجد الحرام إخراجاً عنيفاً [٣] .

وفي سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) قام أمير الحج المصري الأمير ركن الدين عمر شاه الحاجب [٤] بمعاقبة مؤذن الزيدية بالضرب حتى الموت ، وذلك من أجل القضاء على تلك البدع المنتشرة [٥] ، وهذه الشدة من جانب أمراء الحج مع الزيدية جعلت إمام الزيدية يغير موقفه ويعلن توبته ، فعقد له مجلس في الحرم الشريف

(١) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٦٢٢ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، ٧ / ٣٩٣ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، ٧ / ١٥٩ .

(٢) الزيدية إحدى فرق الشيعة الذين يقولون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وقد خرج زيد في خلافة هشام بن عبد الملك ، وهم ينقسمون إلى ثلاث فرق : الجارودية ، والسليمانية ، والنبوية ، وهي أقرب فرق الشيعة من أهل السنة حيث تتصف بالاعتدال والقصد والابتعاد عن التطرف والغلو . البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، (د.ت) ، صـ٤٣ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٦ / ٩٨ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٨٤ .

(٤) هو : زين الدين عمر شاه الحاجب الركني ، نائب حماة ، وليها مرتين ، ثم حجوبية دمشق توفى بها سنة ٧٧١هـ (١٣٦٩م) . المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ق٣ ، صـ٩٠٣ ، ابن تغري بردي : الدليل الشافي ، ٥٠٧/١ .

(٥) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٢٦٥ .

سنة ٧٥٥هـ (١٣٥٤م) حضره أمير الحج الأمير عز الدين أزدمر [١] وجماعة من العلماء والفقهاء ، فتاب أمام المجلس ، وتبرأ من ذلك المذهب ، وتعهد أن يواظب على صلاة الجمعة والجماعة مع أئمة الحرم ، وإن خالف ذلك فيكون له العقاب الشديد [٢] .

٢- بدعة العروة الوثقى وبدعة سرة الدنيا :

من أشهر البدع وأضرها على المسلمين ما ابتدع في الكعبة المشرفة ، وهي ما سمي بالعروة الوثقى ، وسرة الدنيا . أما بدعة العروة الوثقى : فقد شاع بين الناس أن بجدار الكعبة الغربي من الداخل جزء عالٍ به حلقة تسمى العروة الوثقى مقابل باب الكعبة ، فأخذ الناس إذا دخلوا البيت الحرام يحاولون لمس هذا الجزء ومسك الحلقة ، فتزاحم النساء والرجال وهذا منكر كبير ، وأما بدعة سرة الدنيا : فهي عبارة عن مسمار وضع في وسط الكعبة سُمي سرة الدنيا وشاع بين الناس أن من يضع عليه سرته فقد وضع سرته على سرة الدنيا ، فكان الناس إذا دخلوا الحرم الشريف يكشفون عن بطونهم وينبطحون على هذا المسمار ، وكان الاعتقاد السائد بين الناس أن من لمس الحلقة فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن وضع سرته على المسمار فقد أعتق من النار [٣] .

وقد أزيلت هاتان البدعتان على يد أمير الحج المصري ، ففي سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) أخبر أمير الحج الأمير بيبرس الجاشنكير السلطان الناصر محمد بما

---

(١) هو : عز الدين أزدمر الناصري ، تنقل في الخدم إلى أن صار دواداراً ، مات سنة ٧٦٩هـ (١٣٦٧م) . ابن حجر : الدرر الكامنة ، ١ / ٤٢٢ .

(٢) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٣٧ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، صـ١٠٣ ، الطبري : القرى لقاصد أم القرى ، صـ٥٠٢ ، يوسف أحمد : المحمل والحج ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م ، صـ٢٠٦ .

يحدث في مكة من بدع ، فأرسل أوامره إليه بأن لا يترك مكة حتى يزيل ما كان في الكعبة مما سموه العروة الوثقى وأن لا يمس المسمار الذي يقال له سرة الدنيا وفعل ما أمره به السلطان ، فكان هذا دور عظيم لأمير الحج في إزالة المنكرات (١) .

٣- بدعة تعدد الأئمة في الصلاة بالمسجد الحرام :

يعتبر تعدد الإمامة في زمان ومكان واحد بدعة وأمراً نهى عنه الشرع ، لأنه يفصم عرى التآلف ويقلل الثواب ، كما يفسد حكمة مشروعية الجماعة وخاصة إذا كانت في المسجد الحرام ، وقد أزيلت هذه البدعة سنة ٨١١هـ (١٤٠٨م) على يد أمير الحج الأمير أحمد بن جمال الدين الاستادار ، حيث أصدر أوامره إلى الأئمة الأربعة بعدم الصلاة مجتمعين خاصة في صلاة المغرب ، وذلك لما يحدث للمصليين من التباس أصوات المبلّغين واختلاف حركات المصلين وأمرهم أن يجتمعون على إمام واحد هو الإمام الشافعي ويصلي المالكية والحنفية والحنابلة خلفه (٢) .

غير أن إلغاء هذه البدعة كان مؤقتاً ، فقد فوض السلطان المؤيد شيخ أمير الحج سنة ٨١٦هـ (١٤١٣م) بتبليغ أمره بأن الأئمة الثلاثة يصلون المغرب جميعاً كما كانوا من قبل (٣) .

ومن البدع التي أمر أمير الحج بإزالتها بدعة دخول الناس إلى الغار الذي في جبل ثور ، حيث اعتاد الناس على أن يدخلوا من الباب الضيق لغار ثور ، ومع كثرة الناس يحدث انحباس لهم ، فأمر أمير الحج الأمير بيسق الشيخي سنة

---

(١) ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، ابن حجر : الدرر ، ١ / ٥٠٣ .

(٢) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ٤٦٦ ، ابن ظهيرة : الجامع اللطيف ، صـ١٣٢ ، ١٣٣ .

(٣) الفاسي : مصدر سابق ، ١ / ٢٤٥ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٥٠٩ .

٨١٠هـ (١٣٠٧م) بسد هذا الباب [١] .

ومن المنكرات التي أزالها الأمير بيسق الشيخي السوق الذي كان في المسعى بين الصفا والمروة ، وكان هذا السوق يعوق الناس في أداء المناسك ، فقام بإزالته سنة ٨٠٤هـ (١٤٠١م) [٢] ، غير أن هذا العمل الإصلاحي من قبل أمير الحج لم يكتب له الدوام والاستمرار فقد عاد السوق مرة أخرى واستمر حتى ورد مرسوم من السلطان لأمير الحج يشبك الدوادار سنة ٨٢٠هـ (١٤١٧م) بمنع البيع داخل المسجد الحرام ، ومنع نصب الصواوين داخله [٣] .

مما سبق يتضح لنا أن لأمراء الحج المصري دور مهم في إزالة البدع والمنكرات المستحدثة بمكة المكرمة .

ثانياً : دور أمراء الحج المصري في الحياة العلمية :

لقد أثمر موسم الحج بفوائد دينية ودنيوية ، لعلها كانت جزءً من الحكمة من وراء تشريع الحج وجعله أياماً معدودة ، وأماكن محدودة ، أصبحت منتدى عاماً يضم المسلمين من شتى بقاع الأرض على اختلاف أجناسهم ، ليتدارسوا أحوالهم بود ووفاق ، حيث تذوب الفوارق في هذا الموسم العظيم .

ومع هذا اللقاء الروحاني ، لم يكن رواد الحج ينسون المعارف والعلوم التي يسعون إلى كسبها ، بل كثير منهم من كان يرغب في الحج من أجل تحصيل العلم على يد عالم مشهور ذاع صيته في مكان ما فربما وجده في موسم الحج[٤].

---

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، صـ٨٩ ، ٩٠ ، الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ٣٩٢ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٤٥٨ .

(٢) ابن بطوطة : مصدر سابق ، صـ١٣٦ ، الفاسي : مصدر سابق ، ٤ / ٩٧ ، ٩٨ .

(٣) المقريزي : السلوك : جـ٤ ، ق٢ ، صـ٧٥٤ ، ابن حجر : إنباء الغمر، ٢ / ٢٨٢.

(٤) هيام علي عيسى : الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي ، معهد الآداب الشرقية ، بيروت ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ، صـ٢٧١ .

ولقد اهتم سلاطين المماليك بالتعليم في مكة وذلك بالسماح بإقامة المؤسسات التي كانت تنشر العلم بين الناس ، وقد ساهم أمراء الحج في إقامة المؤسسات التعليمية وأوقفوا عليها الأوقاف التي تساعد علي استمرارها في أداء دورها ، وقد شملت هذه المؤسسات التعليمية المدارس ، والأربطة والدراسة في المسجد الحرام وغيرها .

المدارس :

كان الهدف الأساسي من إنشاء هذه المدارس هو تلقي العلوم الدينية المتفقة مع روح ذلك العصر وطبيعة المكان ، وحرص أصحاب المدارس على أن تكون ملاصقة للحرم الشريف ، وذلك لارتباطهم الروحي بالحرم الشريف ، وطلباً لمثوبتهم ومضاعفة أجرهم عند الله تعالى ، وأن يستمد روادها جواً روحيّا في رحاب الحرم الشريف. وأهم هذه المدارس :

١- مدرسة دار العجلة :

تقع هذه المدرسة على يسار الداخل إلى المسجد الحرام ، وهي مكان دار العجلة الواقعة في الجانب الشمالي من الحرم ، وقد بناها أمير الحج الأمير أرغون النائب سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) ، وقد وقف عليها الأمير أرغون وقفاً في مصر ، وجعل ناظره قاضي الحنفية في القاهرة [١] .

وهذه المدرسة استولى عليها الأشراف أولاد راجح بن أبي نمى ، ولكن الخراب قد حلّ بها ، وقد رممت على يد الشريف أبي منيف جار الله بن حمزة بن

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ١ / ١١٧ ، شفاء الغرام ، ١ / ٥٢٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى ، ٣ / ١٧٠ .

راجح [١] في سنة ٧٨٩هـ (١٣٨٧م) وفتح لها باباً جديداً في جدار الحرم الملاصق لها ، وعمل بها ستة شبابيك [٢] .

٢- المدرسة الباسطية :

تنسب هذه المدرسة إلى القاضي الزيني عبد الباسط ناظر الجيوش ، فقد كلف القاضي عبد الباسط استاداره بأن يقيم له مدرسة بمكة فوقع اختياره على دار خاصة بأبناء شريف مكة راجح بن أبي نمى بالقرب من باب العجلة بالمسجد الحرام وذلك سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) ، وقد اشتملت المدرسة على خلاوي للفقراء يسكنون بها مثل أغلب مدارس العصر المملوكي ، وبالإضافة إلى ازدهار الحركة العلمية بهذه المدرسة على يد كبار علماء مكة وغيرها ، فإنها كانت تستخدم مسكناً للأعيان القادمين إلى مكة [٣] ، واستمرت هذه المدرسة تؤدي رسالتها فترة طويلة من الزمن بسبب ما رصده لها صاحبها من أوقاف سخية [٤] ، ويبدوا أنها استمرت إلى سنة ١١٢٥هـ (١٧١٣م) لأن السنجاري المتوفى في هذا العام ذكرها ضمن مدارس مكة الباقية [٥] .

٣- المدرسة الزمامية :

تنسب هذه المدرسة إلى أمير الحج الطواشي خشقدم الزمام ، وهي تقع

---

(١) هو : جار الله بن حمزة بن راجح بن أبي نمى ، عظم أمره عند الناس ، ورمم هذه المدرسة وعمرها ، قتل سنة ٧٩٨هـ (١٣٩٥م) .ابن حجر : الدرر ، ٢ / ٨٠ ، الفاسي: العقد الثمين ، ٣ / ٣٦٩ .

(٢) الفاسي : نفس المصدر والجزء ، صـ٤٠٥ ، ابن فهد : مصدر سابق ، ٣ / ٣٦٩ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٥٩ ، ٦٤ ، النهروالي : الإعلام ، صـ١٤٣ ، السنجاري : منائح الكرم ، ٢ / ٣٤٧ .

(٤) ابن فهد : بلوغ القرى ، ٢ / ٧٧٨ .

(٥) منائح الكرم ، ٢ / ٣٤٧ .

بمكان مدرسة دار العجلة ، وقد قرر بها الأمير خشقدم سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) شيخا من الصوفية وجعل بها صهريجاً لجمع الماء من سطح الحرم ، وخلاوي لسكن الفقراء ، ووقف عليها الربع [١] الذي بالمسعى ، المعروف بربع التوريزي [٢] لضمان استمرارها [٣] .

كما شارك أمراء الحج في بناء مدارس السلاطين مثل الأمير سنقر الجمالي الذي بنيت على يديه مدرسة السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٨٢هـ (١٤٧٧م) ، وكانت هذه المدرسة تدرس المذاهب الأربعة [٤] .

وكانت هذه المدارس تؤدي رسالتها التعليمية بانتظام ، وكان يتم اختيار مدرسيها بعناية كبيرة من قبل أصاحبها ، وقد اشتملت وثائق وقف هذه المدارس على الشروط الواجب توافرها فيمن يقومون بالتدريس ومواعيد الدراسة وعدد الطلاب ومخصصات الأساتذة والطلاب وغير ذلك من الجزئيات ، فمدرسة دار العجلة كان التدريس فيها سائداً على المذهب الحنفي ، وقام بالتدريس بها كثير من العلماء منهم يوسف بن الحسن الحنفي (ت ٧٦١هـ / ١٣٥٩م) الذي درس وأفتى ، وقد

---

(١) الربع : عبارة عن بناء كبير مستقل يتكون من أربعة أو خمسة أدوار ذات مدخل واحد يشمل على حوانيت ومخازن تعلوها طباق سكنية ذات مداخل مستقلة يتكون كل منها من مسكن صغير بمرافقه معد للإيجار . عاصم رزق : معجم مصطلحات العمارة ، صـ١١٧ .

(٢) ينسب هذا الربع إلى أبي بكر بن محمد بن محمد التبريزي ، ويعرف بالنوريزي ، ولد في بلاد العجم ، ثم قدم القاهرة ، ومكة ، وسكنها قريب العشرين سنة ثم اشترى بها داراً ، وولي وظيفة شاد بندر جدة ، ثم تركها وسكن بالقاهرة ، ومات بها سنة ٨٥٩هـ (١٤٥٤م) .ابن فهد : الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، ٢ / ١٢٩٨ .

(٣) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٦٤ .

(٤) ابن فهد : نفس المصدر والجزء ، صـ ٦١٢ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٦ / ٢٠٧ ، النهروالي : الإعلام صـ١٥٢ .

سكن بهذه المدرسة العالم إبراهيم بن أحمد المصري (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ودرس بها أيضاً إمام الأحناف بمكة أحمد بن علي بن يوسف السجزي (ت ٧٦٣هـ / ١٣٦١م) ، ولأن هذه المدرسة كانت مقصورة على تدريس المذهب الحنفي ، فإن الذين نشروا معارفهم فيها كانوا من الأحناف [١] .

وكان للمجاورين دور في نشاط هذه المدارس ، ففي المدرسة الزمامية تولى التدريس فيها ابن جوغان المجاور (ت ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) ، وكان يجلس للتدريس بهذه المدرسة يوم الأربعاء من كل أسبوع ، ومن المجاورين الذين تولوا التدريس بهذه المدرسة علي بن أيوب (ت ٨٧٨هـ / ١٤٧٣م) ، وسكن هذه المدرسة أعداد كثيرة من العلماء والصالحين منهم أحمد بن صدقة الشهاب القاهري الحنفي الذي جاور بمكة سنة ٨٠٨هـ (١٤٠٥م) ، وغيرهم كثير [٢] .

الأربطة :

أسهمت الأربطة التي أنشأها أمراء الحج المصري في نشاط الحركة العلمية ، إذ لم تكن الأربطة مأوى لساكنيها بمكة فحسب ، ولم تقتصر على الفقراء والمساكين الذين قصدوها بغية تحصيل أقواتهم فقط ، بل ارتادها العلماء الذين عقدوا في جنباتها الحلقات العلمية ، ونشروا معارفهم فيها ، وتعلم على أيديهم عدد كبير من طلاب العلم .

وقد شجع طلاب العلم على الإقبال على هذه الأربطة قربها من الحرم

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ١١١ ، ١٦٩ ، ٢٠٣ ، ٧ / ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، ١ / ٢٢٣ ، ابن تغري بردي: الدليل الشافي ، ٢ / ٣٠٦ – ٣٠٨ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٢ / ١١٩ .

(٢) ابن فهد : إتحاف الورى ، ٤ / ٦٤ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ١ / ٢١٠ ، ٢٣٩، ٣ / ١١٢.

الشريف ، بالإضافة إلى أن شيخ الرباط غالباً ما يكون من ساكنيه [١] ، فامتلأت أربطة القاضي ابن عبد الباسط بالعلماء والطلاب وازدهرت الحلقات العلمية بها ، وقد قام بالتدريس بهذه الأربطة أشهر العلماء أمثال قاضي القضاة جلال الدين أبو السعادات محمد المكي الشافعي (ت ٨٦١هـ / ١٤٥٦م) الذي تولى التدريس بهذا الرباط منذ إنشائه سنة ٨٣٥هـ (١٤٣١م) واستمر في عطائه ما يربوا على عامين ، ومعه بعض أئمة المسجد الحرام الذين شهد لهم بغزارة العلم [٢] .

ومن الأربطة التي أسهمت في الحركة العلمية رباط الزمامية المنسوب إلى أمير الحج خشقدم زمام الآدر الشريفة ، وهذا الرباط مطل على المسجد الحرام والكعبة المشرفة ، وكان سبب نشاط هذا الرباط ما أولاه له صاحبه من عناية ورعاية وضحت في وثيقة وقفه التي نصت على تعيين شيخ للرباط من أهل العلم والدين ، وأن يرتب معه عشرة من الطلبة الغرباء ليجلسوا حوله بعد صلاة العصر ، ويفرق خادم الربعة [٣] على القارئين الربعات ليقرأوا في ربعاتهم المذكورة جزءاً من القرآن وهو حزبان ، وبعد قراءتهم يقرأ ثلاثة فيهم سورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة ،وآخر سورة البقرة ، ويذكرون الله تعالى بعد ذلك ويصلون على النبي (ﷺ) ، ثم يبدأ أحدهم بالدعاء مهدياً ثواب ما قرأوا في صحيفة الواقف ، ومن بعده لأموات المسلمين ، ثم ينصرفون إلى مقر سكنهم بالرباط ، ويكررون ذلك يومياً ، عدا أيام الأعياد ، ومقابل ذلك يقرر لهذا الشيخ أربعة عشر دينار من الذهب

(١) ابن تغري بردي : مصدر سابق ، ٢ / ٧٠٨ .

(٢) السخاوي :التبر المسبوك ، صـ٢٣١ ، الضوء اللامع ، ٩ / ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، دحلان : خلاصة الكلام ، صـ٨٥ .

(٣) الربع : جمعه أرباع وهو جزء من أربعة أجزاء ، والمقصود أجزاء القرآن الكريم . الفيومي : المصباح المنير ، ٢١٦/١ .

الأفلوري كل شهر ، ولكل قارئ من القراء العشرة ، عشرة دنانير من الذهب الأفلوري شهرياً ، ولخادم الربعة أفلوريان ونصف ، ويقوم شيخ الرباط بتعيين إمام مجيد لقراءة القرآن يصلي بهم التراويح في كل سنة ، وتعيين مكبِّر ، ومقابل ذلك يأخذ الأمام أفلورياً وثلثا في كل شهر رمضان ، ويأخذ المكبِّر نصف ما يأخذه الإمام [١] .

فهذا النظام جعل الرباط حافلاً بالعلماء والطلاب ، وقد تولى التدريس فيه أشهر العلماء مثل الشيخ محمد بن أبي بكر بن الحسين (٧٧٥ – ٨٥٩هـ/ ١٣٧٣ – ١٤٥٤م) الذي انتشر علمه في مكة وخارجها ، الأمر الذي جعل الأمير خشقدم يوليه مشيخة هذا الرباط [٢] .

وبالإضافة إلى المدارس والأربطة التي كان نظام الدراسة فيها نظامياً حيث كان يدّرس فيها عدة أساتذة ، ويقضي الطلاب فيها سنوات محددة ، ثم يخرجون بإجازات من مدرسيهم توضح ما قرأوه ، ثم تفتح الأبواب للتدريس لغيرهم [٣] ، كان هناك دراسة بالمقامات الأربعة بالحرم الشريف رتب فيها أمراء الحج دروساً ، ففي سنة ٧٢٠هـ (١٣٢٠م) رتب الأمير أرغون الناصري درساً للحنفية ، ودروساً بالمدارس الأخرى برواتب ثابتة لرواد العلم من علمائه وطلابه ، فأقبل على هذه الدروس العديد من طلاب العلم الذين صرفوا همهم إلى تحصيل المعارف ، فكانوا أحفظ أهل زمانهم علماً وتحديثاً وتدريساً [٤] .

---

(١) وثيقة وقف الزيني خشقدم زمام الأدر الشريفة ، رقم الوثيقة (٩٠) دار الوثائق القومية .

(٢) الشوكاني : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ٢ / ١٤٦ – ١٤٧.

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ٣ / ٢٣١ ، ٢٣٢ ، السخاوي : الضوء اللامع ، ٧ / ٨٤ ، ٩ / ١٩ .

(٤) الفاسي : شفاء الغرام ، ١ / ٣٢٨ ، السليمان : العلاقات الحجازية المصرية ، صـ٢٢٤ .

ومن الدروس التي قررها أمراء الحج درس الأمير يلبغا الخاصكي ، وكان من أهم الدروس التي أفادت رواد العلم بالمسجد الحرام ، وقد قرره يلبغا سنة ٧٦٣هـ (١٣٦١م) وخصصه لتدريس المذهب الحنفي لأنه كان يميل إليه ، وكان يجزل العطاء لمن يقوم على دراسته ، واجتذبت أعطياته بعض أنصار المذاهب الأخرى ، فتحولوا إلى المذهب الحنفي ، فكثر عدد الطلاب ، وتولى التدريس في هذا الدرس الكثير من العلماء المشهورين بتدريس المذهب الحنفي [١] ، فهذه الدروس ساعدت على نشر العلم بين صفوف المسلمين من أبناء مكة والوافدين إليها .

وقد تبين مما سبق أن لأمراء الحج دور في ازدهار الحركة العلمية ، بما وفروه من رعاية للعلماء والطلاب ،وبما خصصوا من أوقاف على المؤسسات العلمية ضمنت لطلاب العلم وسائل معيشتهم وأماكن تعليمهم.

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ٢ / ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ابن حجر : إنباء الغمر ، ١ / ١٦ ، ٢١٧ .

خاتمة

من خلال الدراسة السابقة يمكن أن نستخلص العديد من النتائج :

١- كان سلاطين المماليك يبحثون عن المستحقين والأكفاء لولاية إمرة الحج ؛ لأنه منصب جليل ونبيل ، يجتمع تحت إمرته العلماء والفقهاء ، والأولياء ، والقوي والضعيف ، والرجال والنساء ؛ لذلك كانوا يختارون من ثبتت استقامة أحواله ، واختبر في دينه وأفعاله.

٢- كان تحرك قافلة الحج معناه انتقال مجتمع بكامله ، وأمير الحج بصفته رئيساً عليه مسئولية عظيمة تتطلب جهداً شاقاً ، وعملاً متواصلاً ، ولتعدد مسئولياته كان لابد له من معاونين (موظفين) يساعدونه في مختلف مهامه حتى يتسنى له إنجاز عمله على أكمل وجه ، لذا فقد اشتملت قافلة الحج على العديد من الموظفين ، للقيام بالمهام المتنوعة المتعلقة بالقافلة ، كما كان يساعد أمير الحج في تجهيز قافلة الحج أكابر الأمراء والأعيان والوزراء ، فقد كانوا يقدمون له الأموال والهدايا والأعطيات لتوزيعها على الأعراب المنتشرين في طريق ركب الحجاج ولمن يستحق من المحتاجين.

٣- إن خروج المحمل من المناسبات الجليلة القدر التي اختصت بها مصر الإسلامية ، واستمر المصريون في الاحتفال بتكريم محمل الحج ، وعرض كسوة الكعبة في مهرجان صاخب رائع الملامح والمناظر ، يحضره كبار الأمراء والعلماء والقضاة ، ويطوف الموكب شوارع القاهرة ،لأنَّ المحمل لم يكن فقط عبارة عن جمل يحمل كسوة الكعبة ، وإنما كان رمزاً لسيادة مصر على الحجاز ، ورمزاً لعظمة وهيبة السلطان ، فهو سفير مصر في مكة وقت الحج حيث يجتمع المسلمون في كل مكان ؛ فقد بلغ المحمل المصري في العصر المملوكي

من النظام والدقة في تكوينه وتقسيمه ، ما جعله أشبه بجيش عسكري في صرامته ودقة نظامه .

٤- كان أمير الحج المصري أقوى أمير حج يصل إلى أرض الحرمين ، لأنه يمثل الدولة المملوكية التي تزعمت السيطرة على الحجاز عامة ، لذلك كان أشراف مكة يخطبون مودته ويعملون على إرضائه ، وفي المقابل كان أمير الحج المصري يحمل إلى أشراف مكة الكثير من الهدايا والمنح والتشاريف والأموال المخصصة للحرمين الشريفين ، فضلاً عن المكافآت الفورية التي تقدم لشريف مكة ولأولاده ، وكانت العلاقة بين أمير الحج المصري وأشراف مكة ، تتأرجح بين الود والصدام ، وإذا حدث صدام ومناوشات كانت تؤدي إلى هلاك الكثير من أهل مكة والزوار والحجاج والتجار ، وفساد الممتلكات ، ونهب الخيرات ، وكان هذا يحدث على أرض الحرم وعند تأدية الفريضة ، مما يدل على غياب الأحكام الشرعية وتجاوزها من قبل أمير الحج المصري وأشراف مكة من أجل فرض السيطرة وترسيخ النفوذ السياسي في مكة .

٥- ونظراً لتعدد أمراء الحج القادمين من مصر والشام والعراق واليمن فقد وجدت بينهم منافسة شديدة من أجل بسط النفوذ السياسي لدولهم التابعين لها ، وقد حصل أمير الحج المصري على نصيب الأسد في هذه المنافسات ، حيث وقف في وجهه أي تنافس خارجي من جهة العراق أو اليمن وحتى الشام التابعة لدولة المماليك ،كما أن النفوذ السياسي لأمير الحج المصري قد بلغ من القوة لدرجة أن أشراف مكة والمدينة يستجيبون لأوامره دون تأخير .

٦- كان خروج سلاطين المماليك وأبنائهم لأداء فريضة الحج – كأمراء للحج أو مصاحبين لأمير الحج – مناسبة تمثل أبرز ركائز السيادة الدينية على الحجاز

عامة ومكة خاصة ، ينتهزونها لتذليل المشاكل المعيشية للسكان ، إضافة إلى الصدقات التي يبذلونها ، سعياً إلى تثبيت النفوذ السياسي على الحرمين .

٧- اهتم أمراء الحج المصري بالنشاط التجاري الذي لعب الدور البارز كمصدر للثروة في مكة ،لاعتماد اقتصاد مكة علي التجارة القادمة مع التجار أو الحجاج ، فقاموا بإنشاء العديد من الخانات لراحة التجار على طول الطريق من مصر إلى مكة ،هذا بالإضافة إلى ما قام به أمراء الحج من تمهيد للطرق الوعرة ، وحفر للآبار على طول الطريق المؤدي إلى مكة ، والاهتمام بطرق التجارة وتأمينها من اعتداءات العربان المتكررة.

٨- عمل أمراء الحج المصري على حماية التجار والحجاج من الرسوم غير الشرعية ، والتي كانت تؤثر على النشاط التجاري في مكة ، هذا بالإضافة إلى تأثيرها على السكان وخاصة أولئك الذين يقاسون من الفقر والجوع والحاجة إلى المال والطعام والمأوى ، لأن فرض المكوس يترتب عليها ارتفاع الأسعار ، وفي المقابل كانت السلطة المملوكية تعوض أشراف مكة بالمال والاقطاعات الواسعة ذات الأراضي الزراعية الخصبة في مصر والشام .

٩- لم يقف أمراء الحج المصري مكتوفي الأيدي أمام الأزمات التي أصابت مكة طوال عصر سلاطين المماليك ، فقد كان لهم جهود عظيمة في حلها وتخفيف حدتها عن كاهل أهالي مكة ، بما كان يحملونه أو يقدمونه من غلال بأمر السلاطين ، وما كانوا يقومون به من توزيع الصدقات على أهالي مكة وسكانها .

١٠- قام أمراء الحج بتوفير حياة كريمة لجميع طبقات المجتمع المكي وقدموا الرعاية الصحية للمرضى والعجزة والمحتاجين فضلاً عن الدعم المادي للفقراء والمساكين من أهل مكة ولكل من جاور فيها كما قاموا بإنشاء العديد من

المنشآت التي تخدم المجتمع ووقفوا عليها الأوقاف التي تتضمن استمرارها .فاطمئن هؤلاء الناس على أرزاقهم وسائر أمور معايشهم ، فتفرغوا لعبادتهم ، وتجارتهم ، وانصرف بعضهم إلى تعلم العلم وقراءة القرآن وإقرائه لغيرهم .

١١- حظيت مكة باهتمام ورعاية أمراء الحج المصري ، تخفيفاً عن سكان الحرم الشريف ، والوافدين إليه ، وعنايتهم بهذه المرافق كان علاجاً لما تعانيه مكة من ندرة الأمطار ، وقلة مياه الآبار ، وشح المياه عموماً ، بالإضافة إلى كثرة وفود الحجاج سنة بعد أخرى ، فكان جلّ اهتمام أمراء الحج يتجه إلى توفير المياه ، فشرعوا في حفر الآبار ، وعمارة العيون وإنشاء البرك والأسبلة والمطاهر وغيرها من المنشآت التي أقيمت في مكة وفي خارجها لخدمة الحجاج في موسم الحج ، وخدمة أهالي مكة والمنقطعين طوال العام .

١٢- لقد حرص أمراء الحج المصري على الاهتمام بالمراكز الدينية التي يتوجه إليها الحجاج خلال الموسم ، وتوفير الراحة والطمأنينة لهم عن طريق إصلاح ما تهدم ، وترميم الأماكن التي تستوجب زيارتها ، وتأدية المناسك فيها ، ولاسيما المسجد الحرام ، هذا بالإضافة إلى الاهتمام بالوظائف الدينية ، والعمل على إزالة البدع والمنكرات .

١٣- لقد ساهم أمراء الحج في إقامة المؤسسات التعليمية وأوقفوا عليها الأوقاف التي تساعد على استمرارها في أداء دورها ، وقد شملت هذه المؤسسات التعليمية المدارس ، والأربطة والدراسة في المسجد الحرام وغيرها ،وكان الهدف الأساسي من إنشاء هذه المؤسسات هو تلقي العلوم الدينية المتفقة مع روح ذلك العصر وطبيعة المكان .

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق :

١- وثيقة وقف الأمير السيفي أيتمش بن عبد الله الظاهري ، رقم الوثيقة (١١٤٣ ق) أوقاف مكرر.
٢- وثيقة وقف الأمير سيف الدين بكتمر ، رقم الوثيقة (٢٠) ، محفظة (٤) ، دار الوثائق القومية .
٣- وثيقة وقف الأمير السيفي تغري بردي المحمودي ، رقم الوثيقة (٦٠٦ ج) أوقاف.
٤- وثيقة وقف الزيني خشقدم ، زمام الآدر الشريفة ، رقم الوثيقة (٩٠) محفظة رقم (١٥) دار الوثائق القومية .
٥- وثيقة وقف دولات باي المؤيدي ، رقم الوثيقة (١٢٩) محفظة (٢٠) دار الوثائق القومية .
٦- وثيقة وقف الأمير طومان باي ، رقم الوثيقة (٨٨٢) دار الكتب المصرية .
٧- وثيقة وقف الزيني عبد الباسط ، رقم الوثيقة (١٨٩ ج) أوقاف .

ثانياً : المخطوطات :

* ابن دقماق :(محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) :

١- الجوهر الثمين في سيرة الملوك والسلاطين ، مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، رقم (١١٦٤) .

* الطبري : (محمد بن علي ت ١١٧٣هـ/١٧٥٩م) :

٢- إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن ، مخطوط مصور ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، رقم ٨٧٠ تاريخ .

ثالثاً : المصادر المطبوعة :

القرآن الكريم.

* ابن الأثير : (عز الدين علي بن محمد ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) :

١- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تحقيق : الشيخ خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

* الأزرقي : (أبو الوليد محمد بن عبد الله ت ٢٢٣هـ/٨٣٧م) :

٢- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق : رشدي صالح محسن ، بيروت،(د.ت)

* ابن إياس : (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ/١٥٢٣م) :

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٣ ، ١٩٨٢ – ١٩٨٤م .

* ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م):

٤- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، المشهورة برحلة ابن بطوطة ، دار التحرير ، القاهرة ١٩٦٦م .

* البغدادي : (صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م) :

٥- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م .

* البغدادي : (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) :

٦- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، (د.ت) .

* بيبرس المنصوري : (ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصوري ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):

٧- التحفة الملوكية في الدولة التركية ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٧م .

٨ – زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، جـ٩ ، تحقيق : زبيدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

٩- مختار الأخبار ، تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م .

* ابن تغرى بردى:(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م) :

١٠- الدليل الشافي ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، القاهرة ، ١٩٨٣م .

١١- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، جـ١ ، جـ٢ ، جـ٣ ، جـ٤ ، جـ٦ ، جـ٧ ، جـ٨ ، تحقيق : محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٤ – ١٩٩٩م . جـ٥ ، تحقيق : نبيل محمد عبد العزيز ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨م .

١٢- مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة ، تحقيق ، نبيل محمد عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

١٣-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة (د.ت) .

* ابن جبير : (أبو الحسن محمد بن أحمد ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) :

١٤- رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك ، المعروفة برحلة ابن جبير ، دار الهلال ، بيروت ١٩٨١م .

* الجزيري : (عبد القادر بن محمد الأنصاري ت ٩٧٧هـ/١٥٦٩م) :

١٥- درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

* ابن حجر : (شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

١٦- إنباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق : حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩ – ١٩٧٢م.

١٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ضبطه : الشيخ عبد الوارث محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م.

* الخزرجي : (أبو الحسن علي بن الحسن ت ٨١٢ هـ/ ١٤٠٩م):

١٨- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، صححه ونقحه : محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال بالفجالة ، مصر ، ١٩١١م .

* ابن خلدون : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) :

١٩- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٣م .

* ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد ت ٦١٨ هـ/ ١٢٨٢م):

٢٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) .

* دحلان : (أحمد بن زيني دحلان ت ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م) :

٢١- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٠٥هـ .

* الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) :

٢٢- سير أعلام النبلاء ، تحقيق : بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ /١٩٩٦م.

* الرشيدي : (أحمد الشيخ ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) :

٢٣- حُسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج ، تحقيق : ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٨٠م .

* السخاوى : (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) :

٢٤ – التبر المسبوك في ذيل السلوك ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٢١- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، طبعة الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

٢٥- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت (د.ت) .

السنجاري : (علي بن تاج الدين بن تقي الدين ت ١١٢٥هـ/١٧١٣م) :

٢٦- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، تحقيق : جميل عبد الله المصري وماجدة زكريا ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ،١٤١٩هـ /١٩٩٨م .

* السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن محمد ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) :

٢٧ – حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٨م .

٢٨- نظم العقيان في أعيان الأعيان ، تحقيق : فيليب حتى ، المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت)

* الشوكاني : (محمد بن علي بن محمد ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) :

٢٩- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، القاهرة ، ١٩٦١م .

* الصفدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :

٣٠- أعيان العصر وأعوان النصر ، تحقيق : علي أبو زيد وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٨م .

٣١- الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

* الصيرفي: (على بن داود الصيرفي ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) :

٣٢- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق : حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٠ – ١٩٩٤م .

الطبري : (محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م) :

٣٣- القرى لقاصد أم القرى ، تحقيق : مصطفى السقا ، مصر ، ط٢ ، ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م .

* ابن طولون : (شمس الدين محمد بن علي ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م) :

٣٤- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، تحقيق : محمد مصطفى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م .

* ابن ظهيرة : (جمال الدين محمد جار الله ت ٩٨٦هـ/١٥٧٨م) :

٣٥- الجامع اللطيف في فضل مكة وبناء البيت الشريف ، القاهرة ١٩٣٨م.

* ابن عبد الظاهر : (محيى الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) :

٣٦- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، حققه مراد كامل ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦١م .

٣٧- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، نشره عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ط١ ، ١٩٧٦م

* ابن العبري : (غريغوريس الملطي ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) :

٣٨- تاريخ مختصر الدول ، نشر الأب انطون صالحاني اليسوعي ، بيروت ، ١٩٥٨م.

* العصامي : (عبد الملك بن حسين ت١١٠١هـ/١٤٠٦م) :

٣٩- سمط النجوم العوالي في معرفة الأوائل والتوالي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م .

* ابن العماد: (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م):

٤٠- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، حققه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق – بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

* العمري : (شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م):

٤١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " ممالك مصر والشام والحجاز واليمن " ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد ، طبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (د.ت) .

* العيني : (بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) :

٤٢- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (عصر سلاطين المماليك) ، أربعة أجزاء تحقيق محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ، ١٩٨٧ - ١٩٩٢م .

- حوادث سنة ٨٢٤ هـ - ٨٥٠ هـ ، تحقيق عبد الرازق الطنطاوي القرموط ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٩م .

* الغزي : (نجم الدين محمد بن محمد ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م) :

٤٣- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، تحقيق : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .

* الفاسي : (تقي الدين محمد بن أحمد الحسين ت ٨٣٢هـ/١٤٢٩م) :

٤٤- شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت).

٤٥- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : فؤاد سيد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤١٩هـ /١٩٩٨م .

* ابن الفرات : (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ت ٨٠٧ هـ/١٤٠٥م) :

٤٦- تاريخ الدول والملوك ، تحقيق : قسطنطين رزيق ، ونجلاء عز الدين ، بيروت ، ١٩٣٦ - ١٩٤٢م .

* ابن فهد:(أبو الفضل تقي الدين محمد بن فهد الهاشمي ت ٨٧١هـ/١٤٦٦م):

٤٧- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .

* ابن فهد: (عبد العزيز بن عمر ت ٩٢٢هـ/١٥١٦م) :

٤٨- بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : عبد الرحمن بن أبو الخيور ، جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م .

٤٩- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، طبعة معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، ط١ ، ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م .

* ابن فهد: (نجم الدين عمر ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) :

٤٧- إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، عبد الكريم الباز ، طبعة مركز البحث العلمي وإحياء التراث، جامعة أم القرى (د . ت).

٥٠- الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق : عبد الملك بن دهيش ، دار خضر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م .

* الفيومي : (أحمد بن محمد بن على المقري الفيومي ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م) :

٥١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت).

* القرماني: (أبو العباس أحمد بن يوسف ت١٠١٩هـ/١٦١١م):

٥٣- أخبار الدول وآثار الإول ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت) .

* القلقشندى : (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :

٥٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩١٠ – ١٩٢٠م .

٥٤- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، عالم الكتب ، بيروت (د.ت) .

* الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب المصري ت ٤٥٠هـ/١٥٠٨م) :

٥٥- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

* مسلم : (أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ/٨٧٤م) :

٥٦- المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ت) .

* المقريزي : (تقي الدين على بن أحمد ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

٥٧- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، حققه : محمود الجليلي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢م .

٥٨ – الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء الملوك ، تحقيق : جمال الدين الشيال ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

٥٩ – السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، جـ٢ (٦ أقسام) تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٥٨م ، جـ٣ ، جـ٤ (٦ أقسام) تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٠ – ١٩٧٣م .

السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م . (٨ أجزاء)

٦٠- شذور العقود في ذكر النقود ، تحقيق : محمد السيد علي ، المكتبة الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .

٦١ – المقفى الكبير ، تحقيق محمد اليعلاوى ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م .

٦٢ – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، المعروف بالخطط المقريزية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة (د.ت).

* المكي : (محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م) :

٦٣- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ، تحقيق : علاء إبراهيم الأزهري ، أيمن نصر الأزهري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م .

* ابن منظور: (جمال الدين محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م) :

٦٤ – لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م .

* النهروالي : (قطب الدين محمد بن أحمد ٩٩٠هـ/١٥٨٢م) :

٦٥- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ، القاهرة ، ١٩٧٤م .

* النويرى : (شهاب الدين بن عبد الوهاب النويرى ت ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) :

٦٧ – نهاية الأرب في فنون الأدب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٢٣ – ١٩٩٧م.

* ابن هشام : (أبو محمد عبد الملك ت ٢١٣هـ/٨٢٥م) :

٦٨- السيرة النبوية ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

* ياقوت : (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) :

٦٩ – معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م .

رابعاً : المراجع العربية :

* آمنة حسين محمد علي جلال (دكتورة):

١- طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

* إبراهيم حلمي(دكتور) :

٢- المحمل ، مكتبة التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

* إبراهيم رفعت (باشا) :

٣- مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

* أحمد رمضان أحمد (دكتور):

٤- شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٧٧م .

* أحمد الشرباصى (دكتور) :

٥ – المعجم الاقتصادي الإسلامي ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨١م .

*أحمد عيسى (دكتور) :

٦- تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، بيروت ، (د.ت)

* أحمد فؤاد سيد (دكتور) :

٧- تاريخ مصر الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ٢٠٠٢م

* أحمد مختار عبد الحميد عمر(دكتور) :

٨- معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، ط١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩م.

* بطرس البستاني :

٩- محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٧٩م

* حسن إبراهيم حسن (دكتور) :

١٠- النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م

* حسن الباشا (دكتور) :

١١- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

* حسن علي الشاذلي (دكتور) :

١٢- الجنايات في الفقه الإسلامي دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والقانون ، دار الكتاب الجامعي ، ط٢ ، (د .ت) .

* حسين عبد الله باسلامة (دكتور) :

١٣- تاريخ الكعبة المعظمة ، عمارتها وكسوتها وسدانتها ، تهامة ، ط٢ ، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م .

* حياة ناصر الحجى (دكتورة) :

١٤- السلطان الناصر ونظام الوقف في عهده ، الكويت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .

* راشد سعد راشد القحطاني (دكتور) :

١٥- أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

١٦- حضارة الإسلام ، المعهد العالي للدراسات الإسلامية ، القاهرة ، ط٣ ، ٢٠٠٤م .

١٧- العصر المماليكى في مصر والشام ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م .

* سميرة فهمي علي عمر (دكتورة):

١٨- إمارة الحج في مصر العثمانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م.

* سيد عبد المجيد بكر (دكتور) :

١٩- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ، تهامة للنشر والتوزيع ، جدة ، ط١ ، ١٤٠١هـ/ / ١٩٨١م .

* طرفة عبد العزيز العبيكان (دكتورة):

٢٠- الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

*عاتق بن غيث البلادي:

٢١- معالم مكة التاريخية والأثرية ، دار مكة للنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

٢٢- معجم قبائل الحجاز ، مكة ، ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م .

٢٣- معجم معالم الحجاز ، دار مكة للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .

* عاصم محمد رزق (دكتور) :

٢٤- معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة (د. ت) .

* عباس العزاوي (دكتور):

٢٥- تاريخ العراق بين احتلالين ، شركة التجارة والطباعة المحدودة ، بغداد ، ١٩٣٥ – ١٩٥٦م .

* عبد الرحمن فهمي (دكتور) :

٢٦- النقود العربية ماضيها وحاضرها ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٤م .

* عبد العزيز الدوري (دكتور) :

٢٧- النظم الإسلامية ، دار المشرق ، بيروت ، ١٩٨٤م .

* عبد المنعم ماجد (دكتور) :

٢٨- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٥٣م .

* عثمان على محمد عطا (دكتور) :

٢٩- الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢م .

* علي بن حسين السليمان (دكتور) :

٣٠- العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

* علي محمد محمد الصلابي (دكتور) :

٣١- المغول (التتار) بين الانتشار والانكسار ، الأندلس الجديدة ، مصر ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

* مجمع اللغة العربية :

٣٢ – المعجم الوسيط ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٢م .

* محمد عبد العال أحمد (دكتور) :

٣٣- البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، الإسكندرية ١٩٨٠م .

* محمد علي فهيم بيومي (دكتور) :

٣٤- مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني ، دار القاهرة للكتاب ، ط١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

.* محمد قنديل البقلي (دكتور):

٣٥- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤م .

* محمد كرد على (دكتور) :

٣٦ – خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٦٩م .

* محمد لبيب اليتنوني :

٣٧- الرحلة الحجازية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ١٤١٥هـ /١٩٩٥م .

* محمد محمد أمين ، وليلى علي إبراهيم (دكتور) :

٣٨- المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ط١ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م .

* مصطفى عبد الكريم الخطيب (دكتور) :

٣٩- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، ١٤١٦هـ /١٩٩٦م .

* نعيم زكي فهمي (دكتور) :

٤٠- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٧٢م .

* هيام علي عيسى (دكتورة):

٤١- الحج إلى الحجاز في العصر المملوكي ، معهد الآداب الشرقية ، بيروت ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

* يوسف أحمد (دكتور) :

٤٢- المحمل والحج ، مطبعة حجازي ، القاهرة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م .

خامساً : المراجع الأجنبية المترجمة :

* أيوب صبري (باشا) :

١- مرآة جزيرة العرب ، ترجمة أحمد فؤاد متولي ، الصفصافي مرسي ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م .

* رينهات دوزي :

٢- تكملة المعاجم العربية ، نقله إلى العربية وعلق عليه : محمد سليم النعيمي ، وجمال الخياط وزارة الثقافة والإعلام ، الجمهورية العراقية ، ط١ ، ١٩٧٩ – ٢٠٠٠م.

* زامباور :

٣- معجم أنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، أخرجه د. زكي محمد حسن ، وآخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

سادساً : الأبحاث العلمية والدوريات :

* أحمد دراج (دكتور) :

١- الحسبة وأثرها على الحياة الاقتصادية في مصر المملوكية ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد الرابع عشر ١٩٦٦ – ١٩٦٧م .

* أمين محمود عبد الله (دكتور) :

٢- طرق الحج والتجارة العربية في العصر الإسلامي ، مجلة الفيصل ، الرياض ، العدد ٢٨ ذي الحجة ١٣٩٨هـ / نوفمبر ١٩٧٨م .

* بدوي محمد فهد (دكتور) :

٣- تاريخ أمراء الحاج ، مجلة المورد ،، المجلد ٩ ، العدد ٤،دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

* حسنين محمد ربيع (دكتور) :

٤- البحر الأحمر في العصر الأيوبي ، ندوة تاريخ البحر الأحمر بجامعة عين شمس ١٩٧٩م.

* صبحي لبيب (دكتور) :

٥- التجارة الكارمية ، تجارة مصر في العصور الوسطى ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، العدد ٤ ، مايو ١٩٩٤م .

* عبد الله عنقاوي (دكتور):

٦- المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الرياض ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ١٣٩١-١٣٩٢هـ/ ١٩٧١ – ١٩٧٢م

* عبد الله محمد بني حمد (دكتور) :

٧- الأسواق الشامية الموسمية على طريق الحج في العصر المملوكي ، مجلة العرب ، الرياض ، مجلد٣ ، جـ٤ ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م

* عرفة عبده على (دكتور) :

٨- الوظائف الرسمية بركب المحمل المصري في عصر سلاطين المماليك ، مجلة الحج والعمرة (الرياض) ، السنة الستون ، العدد الثالث ، ربيع الأول ١٤٢٦هـ / أبريل – مايو ٢٠٠٥م .